تاریخ

بلغار نهر الفولجا
وصلتهم بالإسلام في العصور الوسطى

أ. د. محمد كريم ابراهيم الشمري
جامعة عدن/ كلية الآداب- قسم التاريخ

المقدمة :

يهتم هذا البحث بدراسة البلغار من حيث التسمية والأصل في المبحث الأول منه ، فالبلغار هو الاسم الذي أطلقه العرب على شعب تركي الأصل أقام دولتين في مطلع العصور الوسطى ، الأولى على نهر الفولجا (أتل) - التي عنينا بها في بحثنا هذا ، وأطلقت كلمة (بلغار) على الشعب وعلى البلاد التي تقع عاصمتها شرق نهر الفولجا . والثانية على نهر الدانوب ، والبلغار أقرب إلى الجنس القفقاسي من غيرهم ، فهم روس توزعوا في استقرارهم بين السهوب المجاورة لنهر قوبان وبحر آزوف ، واقليم الدانوب وفي القوقاز ، وقد عرضنا لدراسة الروايات المختلفة حول أصلهم .

وفي المبحث الثاني درسنا الصلات بين البلغار وبين المسلمين منذ القرن الأول الهجري / السابع الميلادي عند ظهور الإسلام ، إذ كان بعضها يؤول لاسباب عسكرية ترتبط بوصول العرب المسلمين إلى أجزاء قريبة من ديار الترك والبلغار والخزر والصقالبة وغيرهم ، وبعضها ترجع إلى أسباب اقتصادية ترتبط بدور التجار العرب المسلمين في التبادل التجاري مع تلك الديار ، الذي كان عاملاً مهما من عوامل امتداد الإسلام في أرجاء عديدة من المعمورة ، وذلك عبر طرق ثلاثة أنتشر الإسلام خلالها في بلاد البلغار .

أوضح البحث ديانة البلغار الوثنية واتخاذهم طوطماً (شعاراً) لهم بعبادة مجموعة من الحيوانات ، وكان الخان البلغاري - فضلاً عن سلطته السياسية - الكاهن الأعلى لقبيلته ، فأدى احتكاكهم بالعرب المسلمين إلى انتشار الإسلام بينهم وتغيير الكثير من القيم والعادات والتقاليد السائدة في مجتمعهم ، وقد بلغت الصلات بين المسلمين والبلغار أوج ازدهارها من خلال بعثة ابن فضلان الذي أرسله الخليفة العباسي المقتدر بالله رسولاً إلى ملك البلغار عام 309 هـ / 921 م ، أي في مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، والتي كان لها تأثيرها العربي الإسلامي الواضح في بلاد البلغار ، مما يؤكد محاولات العراقيين إيصال معالم الفكر ومبادئ التربية العربية الإسلامية ونشرها في تلك الديار ، واستمرت الصلات خلال القرون التالية لبعثة ابن فضلان ، التي تعد ذات أهمية خاصة ومتميزة من خلال التفاصيل الواردة فيها وغزارة معلوماتها ونتائجها الإيجابية على بلاد البلغار ، مما أستدعى تخصيص بحث منفرد عنها سيجد طريقه إلى النشر في مجال آخر بعون الله تعالى .

البلغار وصِلتهم بالإسلام

أ- اسمهم وأصلهم :

البلغار أو (البلغر) ، ويسمون : البرغر [1] أو البلكار [2] ، اسم يطلق في الكتب الإسلامية على شعب تركي أقام دولتين في صدر القرون الوسطى ، إحداهما على نهر الفولجا (اتل) والأخرى على نهر الدانوب [3] ، ومن العلماء من يرى أنهم أقرب إلى الجنس القفقاسي من غيرهم . [4] ويهمنا من هاتين الدولتين - في بحثنا - الدولة التي تكونت على نهر الفولجا وحوله وانتشر فيها الدين الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، ولها مراسلات مع الخلافة العباسية .

أطلقت كلمة بلغار على الشعب وعلى البلاد وعلى عاصمتها الواقعة شرق نهر الفولجا ، وما تزال بعض أطلالها قائمة على مقربة من مدينة قازان الحالية على بُعد ستة كيلومترات من شاطئ الفولجا الأيسر [5] . ويتضح لنا مما سبق أن كلمة بلغار ومدلولها كانا واسعَين وشاملَين ، فهي تُطلق على الشعب والدولة وعاصمتها ، لكن المصادر العربية والإسلامية لم تُفصح لنا بشكل جلي عن أصل هذا الشعب وموطنه الأول ، بل وردت أخباره متناقضة وفيها كثير من اللبس والاختلاط .

وحول أصل البلغار ذكر هربك [6] أن البلغار الأصليين جاءوا إلى سهوب جنوب روسيا في موجة من موجات الهون ، وذكروا أول مرة بمعرفة يوحنا الانطاكي سنة 481 م ، حين ساعدوا الإمبراطور (زينو) في حربه مع القوط ، وكانت قاعدة بلاد البلغار في ذلك الوقت السهوب المجاورة لنهر قوبان وبحيرة ماؤطيس (بحر آزوف)، وكانت بعض مجاميعهم تسكن في إقليم الدانوب الأدنى وفي القوقاز ، وعرفت بلادهم الأصلية (قوبان) في الأخبار البيزنطية باسم :(بلغاريا الكبرى) .

ونرجح صحة هذه الرواية وقِدمها التي تؤكد أن أصل البلغار جنس قفقاسي ، فهم روس توزعوا في استقرارهم بين السهوب المجاورة لنهر قوبان وبحر أزوف ، وأقليم الدانوب وفي القوقاز، وعُرفت بلادهم باسم: بلغاريا الكبرى ؛ بسبب كثرة عددهم: وحشودهم .

وفي رواية أخرى [7] أن اسم البلغار ورد لأول مرة في التاريخ الكنسي لزكريا الخطيب حوالي سنة 555 م بين قبائل القوقاز الرُحَّل الذين كانوا يسكنون الخيام ويأكلون لحوم الماشية والأسماك ، أي أنهم كانوا قبائل رُحّل وصيادين ، وذكر يوحنا الأفسوسي سنة 585 م قصة ورد فيها اسم بلغاريوز وخزربكث - اللذين انحدر من صُلبهما البلغار والخزر - علماً أنهما أخوَان ، وهي إشارة تؤكد قرابة هذين الشعبين والتحالف الوثيق بينهما ، وبعد ذلك بقرون عدة انفصمت عُرى الروابط التي كانت قائمة بينهما ، وابتعد كل شعب عن الآخر ، ومع ذلك بقيت اللغة المشتركة بينهما واحدة ، اذ أن هذه الرابطة استمرت بين الشعوب التركية قاطبة ، ويحدد هربك [8] ، انفصال البلغار إلى مجموعتين في استقرارهما بين بلاد روسيا أي حول نهر قوبان وبحيرة ماؤطيس (بحر آزوف) ، والمجموعة الثانية في إقليم الدانوب الأدنى وفي القوقاز ، بعد وفاة خان قورات سنة 642 م [22هـ]، ولعل ذلك حدث بتأثير القوة النامية لمملكة الخزر (بلغاريا الحالية) الجديدة ،

وبقي فريق من البلغار في منازله القديمة على نهر قوبان وماوْطيس (بحر آزوف) حتى نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وكانت هذه البلاد تُعرف باسم : (بلغاريا السوداء) ، كما كانت الأخبار الروسية تسميها : (البلغار السود) ، ولم يؤدِ هؤلاء البلغار أي دور مهم في التاريخ، ويبدو أن الموجات الثقافية من المجر والبشناق والقومان قد استوعبتهم ، وفي سنة 678 م [59هـ] هجرت أعظم جماعة من البلغار وطنها إلى البلقان والدانوب ، وأقامت دولة بين ظهراني القبائل الصقلبية [9] الجنوبية ، ثم ذابت هذه الجماعة البلغارية التركية قليلة العدد في خضم هؤلاء الصقالبة الذين يفوقونهم عدداً ، وعُرفت هذه الدولة وسكانها في المصادر الإسلامية باسم : البرجان [10] .

أما الجماعة الثالثة وهي أصغر الجماعات البلغارية ، فقد تراجعت باتجاه الشمال بمحاذاة نهر الفولجا ، وتؤيد المعلومات الأثرية صحة هذه الحادثة ، اذ استقرت عند ملتقى نهر قاما بالفولجا ، وهناك استطاعت إخضاع السكان الأصليين لتقيم دولة جديدة ، وهذه الجماعة هي البلغار :في المصادر الإسلامية ، والبلقار في المصادر الفارسية ، واسم البلغار يطلق أيضاً على بلادهم وعلى قصبة (عاصمة) دولتهم [11].

ونرجح أن هذه المجموعة الأخيرة هي التي شَكّلت دولة البلغار على نهر الفولجا وحوله وهي موضوع بحثنا ، تلك التي سمتها المصادر الإسلامية بـ :الصقالبة ، ويتضح لنا من استعراض تاريخ البلغار القديم اضطراب الروايات حول أصلهم وموطنهم الأول وكيف انقسموا واستقروا حول نهر الفولجا .

ونشير أخيراً إلى الصلة الوثيقة التي تربط البلغار بالصقالبة ، إذ الشائع أن البلغار يرجعون إلى الصقالبة (السلاف) ، فابن فضلان يذكر في فاتحة كتابه أن المش ملك الصقالبة ، ويقصد بهم البلغار ، ويسمي عاصمتهم : بلغار ، ويفرد لهم فصلاً في رسالته بعنوان : الصقالبة [12] ، ووصف ابن رستة [13] موقع بلكار على حافة النهر الذي يصب في بحر الخزر والمسمى : أتل ، وهم بين الخزر والصقالبة ، أي أنه يجعلهم عنصراً أتخذ موقعه بين عنصرين آخرين هما الخزر والصقالبة ، ولعل ذلك يعني غلبة الصقالبة وامتدادهم إلى حوض نهر الدانوب ، ووصفت بلغار بأنها مدينة الصقالبة ، ضاربة في الشمال شديدة البرد، والثلج لا يفارق أهلها صيفاً ولا شتاءً ، وبناؤهم بالخشب وحده [14] ، وَوصفُ كهذا يدل على بُعدها ووقوعها في الأجزاء الشمالية من روسيا الحالية ، والبلغار أجناس عديدة ينقسمون إلى حشود وجماعات كثيرة عُرفت بأسماء مختلفة لدى الكُتّاب المسلمين ، أشهرهم ثلاث جماعات رئيسة ، هم : برصولا (برسولة) وأشكل أو (أسكل - أسغل) ، والصنف الثالث : بلغار [15] ، ولعل العنصر الأخير هو الذي يعنينا أكثر من غيره - في بحثنا هذا ، أي العنصر الذي استقر على نهر الفولجا وحوله ، واعتنق الدين الاسلامي منذ وقت مبكر .

يخلص بارتولد [16] إلى رأي مفاده أن الصورة التي رسمها ابن فضلان للبلغار وبلادهم هي أكمل من سواها ، ويشير إلى أنه أطلق اسم الصقالبة على بلغار نهر أتل (الفولجا) : ونحن نذهب إلى ما ذهب إليه بارتولد من ان ابن فضلان هو الذي أطلق على

بلغار نهر الفولجا اسم : الصقالبة ،في بداية نص رسالته ،وأطلق على ملكهم اسم : ملك الصقالبة .

ويشير د. الدهان [17] إلى أن الغربيين لم يستطيعوا تحديد مملكة الصقالبة ، لكنهم يرون أن البلغار هم الصقالبة أنفسهم ، وهذا الرأي يدعم رأي بارتولد الذي أكد أن هذه التسمية ترجع إلى ابن فضلان ، في رسالته التي دَوّنها في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .

وفي القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، يخبرنا الغرناطي [18] أن بلغار مدينة عظيمة ، ومعنى بلغار : رجل عالِم ، والعالم عندهم يسمى : (بلار) فسميت تلك الأرض : بلار ، ومعناه : رجل عالِم ، وَعرّبتها العرباء ، فقالوا : بلغار ، ويضيف أنه قرأ ذلك في (تاريخ بلغار) بخط القاضي البلغاري [19] رحمه الله .

يتضح لنا من خلال هذه الرواية أن الغرناطي قصد من التسمية ، أن أهل بلغار كانوا مسلمين يُجلون العلماء ، وكان للتجار المسلمين دور كبير في نشر الاسلام بينهم ، وكانوا يحاربون الخزر الذين اعتنقوا الديانة اليهودية ، وحققوا النصر عليهم بفضل إيمانهم فكانوا أي المسلمين البلغار يُكبّرون في حروبهم ويحمدون الله ويصلون على الرسول (ε) بقولهم : ((الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد)) ، ويقاتلون مع ملك البلغار ضد ملك الخزر ، حتى صالحهم الأخير ودخل في دينهم [20] ، ويتضح لنا ايضاً أن التسمية : بلار أطلقت على التاجر المُسلم الذي علّمهم مبادئ الدين وحثهم علىجهاد الكفار وطلب منهم عدم الخوف والتكبير لله تعالى ، فحققوا النصر على عدوهم ، مما أدى إلى تسمية تلك البلاد ببلاد الرجال العلماء ، اي المسلمين الذين لهم علم بالدين ومبادئه الصحيحة .

من كل ما سبق يتضح لنا أن البلغار جنس تركي الأصل انحدروا من أسيا الوسطى ووصلوا إلى أوربا عبر المنحدرات الغربية لنهر الفولجا ، وكانت لهم صلات وقرابة مع الخزر والصقالبة ، ويبدو أن صلاتهم مع الصقالبة كانت أشد وثوقاً إلى درجة ذكرنا أن ابن فضلان وغيره اطلقوا تسمية البلغار على الصقالبة ، لكننا نؤكد أن الصقالبة هم جنس آخر غير البلغار ، ومن ملوك الصقالبة ملك الترك ، فالترك جنس من الصقالبة [21] ،والبلغار اندمجوا معهم وطغى أسم الصقالبة عليهم ، وأكد الغرناطي [22] أن بلاد الصقالبة مجاورة لبلاد البلغار ، وذكر في رحلته أنه خرج من بلغار ، وركب سفينة في نهر الصقالبة في طريقه إلى بلادهم ، وكان الإسلام منتشراً بينهم في القرن السادس الهجري ، ولعله قصد أنه سافر إلى بلاد الصقالبة على نهر الدانوب .

ب- البلغار والاسلام :

لا نعرف على وجه الدقة متى اعتنق البلغار الإسلام ، لكننا نرجح أن هنالك صِلات بين بلادهم وبلاد العرب المسلمين منذ ظهور الإسلام ، بعضها كان لأسباب عسكرية تتعلق بوصول العرب إلى أجزاء قريبة من ديار الترك والبلغار والخزر والصقالبة وغيرهم ، وبعضها تعود لأسباب اقتصادية من خلال التجارة والتبادل التجاري الذي كان عاملاً مهماً من عوامل امتداد الإسلام في أرجاء المعمورة ، وقبل دراسة هذه الجوانب لابد من إلقاء نظرة سريعة على ديانة البلغار قبل دخولهم الإسلام .

كان البلغار قبل استقرارهم بدو سهول الاستبس ، يربون المواشي وينتقلون على الخيول ، وكانوا يعبدون مجموعة من الحيوانات ، وكان لكل بطن من بطون عشائرهم طوطما (شعاراً) خاصاً بها ، ويعدون إلاهَهَم الكبير (ايمورتال تنكري) هو خالق الكون ، وقبل اعتناقهم الدين الإسلامي كان الخان البلغاري فضلا عن زعامته السياسية ، الكاهن الأعلى لقبيلته ، ونستدل من المعلومات الواردة في رسالة ابن فضلان عن عاداتهم ، أن ثقافتهم ما تزال منحطة ، لكن انتشار الإسلام بينهم أدى إلى تطور العلاقات الروحية لمجتمعهم وحدد مظاهر حياتهم المادية ، وهكذا كان التباين واضحاً في السُلّمْ الحضاري بين المجتمع العراقي الذي كان يمثله ابن فضلان ومن تبعه من الرحالة ، وبين مجتمعات الترك والبلغار والخزر وحتى الروس ، ويتجلى ذلك في محاولات العراقيين إيصال معالم الفكر ومبادئ التربية التي أرادوا نشرها في تلك البلدان بدلاً من عادات البلغار وغيرهم [23] .

وكما ذكرنا أولاً فنحن لا نستطيع الجزم بتحديد الوقت أو العصر الذي أمتد فيه الإسلام إلى بلاد البلغار وأنتشر فيها ، وكان من بين أسباب انتشاره الحملات العسكرية التي قادها المسلمون الى أجزاء مجاورة لبلادهم ، أدت في الأعم الأرجح الى تسرب الإسلام لبلاد البلغار،ذكر الحموي [24] في حديثه عن برجان أنه بلد من نواحي الخزر، في الإقليم السادس ، وأن المسلمين وصلوا ذلك الإقليم في خلافة عثمان بن عفان (رض) ، وهذه الرواية توضح لنا أن طلائع المسلمين وصلوا منذ القرن الأول الهجري إلى بلاد الخزر الحدودية مع بلاد البلغار ، بغية نشر الإسلام فيها .

والخزر شعب من بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروفة بـ : الدربند ، قرب سد ذي القرنين ، وقيل أن التسمية نسبة الى الخزر بن يافث بن نوح (ع) ، (وهي مجرد فرضية أو نظرية غير نهائية مطلقاً) ، وفيها جمع كبير من المسلمين يزيد عددهم على عشرة آلاف مسلم ، ولهم نحو ثلاثين مسجداً ، والخزر مسلمون ونصارى وفيهم عبدة الأوثان ، وأقل الفرق هناك اليهود ، لكن الملك منهم ، وأكثرهم مسلمون ونصارى [25] .

أن هذا الوصف لبلاد الخزر وانتشار الإسلام فيها يعكس لنا حالتها في عصر ياقوت الحموي ، أي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، في الأعم الأرجح ، ولكن هذا الانتشار على حساب اليهودية والمسيحية كان وليد تطورات سبقت عصر ياقوت بكثير ، ربما كانت بداياتها ترجع إلى القرن الأول الهجري .

وقبل الاستمرار في دراسة انتشار الإسلام بين أهل بلغار ، يجدر بنا دراسة طرق انتشاره في ديار البلغار وهي :

1- طريق بلاد القفقاس ، التي دانت لحكم المسلمين منذ القرن الأول الهجري ، واعتنق غالبية أهلها الدين الإسلامي ، وتسرب منها إلى بلاد البلغار عن طريق التجار المسلمين.
2- الطريق المؤدي إلى بلاد خوارزم من خراسان ثم إلى بلاد البلغار ، وهو الطريق الذي سلكه ابن فضلان مع الوفد الذي بعثه الخليفة العباسي المقتدر بالله الى بلاد البلغار . والمرجح أنه طريق الحرير الذي سلكه التجار من بلاد فارس إلى الصين .

3- الطريق البحري ، وهو الطريق الذي يصل بين البلاد الواقعة حول بحر الخزر (قزوين) ، وكانت سفن المسلمين تجوب هذا البحر ، للمتاجرة مع سكان سواحله ومنها بلاد البلغار - الصقالبة - ، يستوردون منهم الجلود والفِراء والشمع والقلانس والعسل والسيوف ، كما كان يسلكه تجار الرقيق الذين يقصدون بلاد البلغار لشراء الرقيق الصقالبة [26] .

أسهمت هذه الطرق الثلاث في تسرب مبادئ وقيم الإسلام إلى بلاد البلغار ، دون أن نحدد زمن وتاريخ انتشارها بين السكان ، بل كانت هنالك عوامل عديدة أسهمت في انتشار الإسلام بين البلغار، فضلاً عن دور وريادة التجار والتبادل التجاري الذي شكل عاملاً فاعلاً ومؤثراً في الاختلاط والامتزاج بين شعوب ومجتمعات متباعدة في المعمورة ، وأدى إلى حصول تقارب وحِوار في الأفكار والثقافات ، ومنها انتشار الإسلام في بلاد البلغار ، من خلال دور التجار المسلمين الذين جابوا تلك الأصقاع النائية .

ولا ريب ان الصلات السياسية أدت دوراً كبيراً ومؤثراً في انتشار الإسلام ، من خلال قوة ومتانة الروابط السياسية بين الدولة العربية الإسلامية والدول الآخرى ، ومنها دولة البلغار ، وأقدم إشارة إلى هذه العلاقة ترجع الى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، ذكر ابن النديم [27] ، من مؤلفات الخليفة العباسي المأمون (عبد الله) بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور ، كتاب : ((جواب ملك البرغر [البلغار] فيما سئل [سأل] عنه من أمور الإسلام والتوحيد)).

ونستشف مما ذكره ابن النديم حول كتاب الخليفة المأمون العباسي جواباً على أسئلة ملك البلغار ، أن الأخير كان توّاقاً جداً للتعرف على أمور الدين الإسلامي والتوحيد ليقف على أحكام الإسلام . ونتساءل هل أن ملك البلغار كان مسلماً أراد الاستزادة من إطلاعه على هذه الأمور ؟ أم أنه أدرك انتشار الإسلام بين قومه فأراد أن يقف على تلك الأمور لكي يعتنق الإسلام ؟ ومهما يكن من أمر فإننا نرجح أن الدين الإسلامي كان منتشراً ومعروفاً في بلده إلى درجة كبيرة ، مما حَمّله أن يسأل خليفة المسلمين المأمون العباسي - الذي وصفه ابن النديم بأنه : ((أعلم الفقهاء بالفقه والكلام)) - عن أصول هذا الدين ، فأجابه الخليفة بكتاب شَرَح له فيه هذه الأمور ، مما يؤكد عمق وقوة الصلات السياسية بين الدولة العباسية وبلاد البلغار منذ القرن الثاني الهجري ، ودور الإسلام في إدامة تلك الصلات وتقويتها .

وفي القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ازداد تأثير انتشار الإسلام على بلاد البلغار وقطعَ أشواطاً بعيدة في حياة أهلها بعد اعتناقهم هذه العقيدة السمحاء ، وقد أمدنا ابن رستة [28] الذي ألف كتابه حوالي عام 291هـ / 903 م بمعلومات مهمة جداً عن أثر ودور الإسلام في بلاد البلغار ، التي يسميها : البلكار ، أبرزها اعتناق ملكهم الدين الإسلامي وانتشار المساجد والكتاتيب والمؤذنين والأئمة ، إذ يقول : ((... وملكهم يسمى المش وهو ينتحل الإسلام ... وأكثرهم ينتحلون دين الإسلام وفي محالهم مساجد وكتاتيب ولهم مؤذنون وائمة ، والكافر منهم يسجد لكل من لقي من محبيه)).

ان هذا الوصف الرائع يدل دلالة واضحة جداً على تأثير انتشار الإسلام الذي اعتنقه ملك البلغار وغالب شعبه اتخذوا المساجد والكتاتيب لأداء الصلاة وتعلم اللغة

العربيـة والتعرف علـى مبـادئ الـدين والشـريعة الإسـلامية السـمحاء ، ولا شـك أن هـذه المظاهر تعكس أهمية تعلق البلغار بالدين الإسلامي ، وأن التـأثير يرجـع إلـى الـدور المهم والفاعل الذي قام به الدعاة المسلمون من التجار وغيرهم الذين استقروا في تلك الديار النائية ونشروا الدين الإسلامي بين السكان قبل وصول ابن فضلان وبعثته إلى بلاد البلغار .

ويؤكد ابن رستة [29] تأثر أهل بلغار بمـا كـان منتشراً ومعروفاً بين المسلمين من الملابس واتخاذ المقابر تشبها واعتزازا بإخوانهم المسلمين ، ويوضح لنـا دور التجـار المسلمين في توثيق الصلات مع البلغار وفي انتشار الإسلام بين البلغـــار ، إذ يقول : ((وإذا جـاءتهم سـفن المسـلمين للتجـارة أخـذوا مـنهم العُشـر ، وملابسـهم شـبيهة بملابـس المسلمين ولهم مقـابر مثل مقابر المسلمين)) .

نستنتج مما ذكره ابن رستة دور التجـار المسلمين الفعال في نشر الإسلام في بلاد البلغار ، فضلا عن استقرار أعداد كبيرة من المسلمين وعيشـها فـي بلادهم ؛ بهدف تعليمهم مبادئ الدين الإسلامي وقيامهم بالخدمات الدينيـة مثل إقامـة الأذان وتعليم البلغار اللغـة العربيـة لقـراءة القـرآن الكـريم ، كـذلك قيـام الأئمـة بتعلـيم السـكان مبـادئ الشـريعة الإسلامية وشؤون الحياة المختلفة التي نظمتها ، ومما لا ريب فيه أن هؤلاء كـانوا إمـا متطوعين عاشوا ضمن المجتمع البلغاري لتأدية رسالتهم الدينيـة ، أو أن بعضـهم كـان يعيش من خلال تشجيع الدولة العربية الإسلامية لهم للسفر والاستقرار هناك وتقديم المـال اللازم لهم ، وأن قسما منهم كان يعيش على ما يحصل عليه من مساعدات مالية أو ماديـة من السكان المسلمين .

لم تقتصر الصلات بين بلاد المسلمين (ضمن الدولـة العربيـة الإسـلامية) وبـلاد البلغار على التُجار والتجـارة ، بل أن بعض الصُناع وأربـاب الحـرف كـانوا يتـرددون علـى هذه البلاد ويعملون بها ، من ذلك مثلاً ما ذكره ابن فضلان [30] أنـه رأى فـي بـلاط ملـك البلغار خَياطاً بغدادياً وأنـه تحـادث معه فـي أمـور شـتى ، ولا شـك أنـه يوجـد هنـاك أنـاس آخرون غير هذا الخيّاط من الصُناع وأربـاب المهن فـي بـلاد البلغـار ، نزحـوا إليهـا طلبـاً للـرزق وهـذا يؤكـد اسـتمرار الهجـرات العربيـة الإسـلامية إلـى تلـك الأصـقاع النائيـة والاستقرار فيها ، وكان لهؤلاء الصُنّاع والحرفيين دور بارز في نشر الإسلام بين السكان .

مما سبق يتضح لنا أن الإسلام قد انتشر بشكل واسع في بلاد البلغار قبل وصـول بعثة ابن فضلان عام 309 هـ ، أي فـي العقد الأول من القرن الرابـع الهجـري / العاشـر الميلادي ، وهـذا يعنـي الخطـأ الواضـح مـن أن ملـك البلغـار وأهلهـا قـد أسـلموا فـي عهـد الخليفة العباسي المقتدر بالله من خلال بعثة أحمد بن فضلان كما ذكر ذلك بعض المؤلفين من المؤرخين والجغرافيين [31] .

صحيح أن الدعوة لبعثة ابن فضلان جاءت من ملك البلغار ، الـذي أرسـل سـفيراً إلى عاصمة الخلافة العباسية ببغداد - ، يطلب إرسال بعثة تضم عدة اشخاص ، لتبصيرهم بـأمور الـدين وشـرائعه ، وبنـاء مسـجد ينصـبون فيـه منبـراً يخطبـون فيـه باسـم الخليفـة ، وطلب المال من الخليفة لبناء حصن منيع يتحصن فيه ملك البلغار وأسرته تحوطاً من ملك

الخزر ، فضلاً عن طلب بعض العقاقير والأدوية [32] ، وبصفة عامة أراد البلغار الإفادة من قوة الدولة العباسية وحضارتها لكسب قوة معنوية تحد من أطماع الدول المجاورة لهم وخاصة دولة الخزر ، - إلا أن مبادئ الإسلام كانت هي الأخرى قوية في بلاد البلغار قبل هذه البعثة ، وأن الإسلام انتشر بشكل واسع في تلك البلاد ، وجاءت بعثة ابن فضلان لتكمل وتعمق تلك المسيرة والصِلات بين الدولة العباسية ودولة البلغار .

هوامش وتعليقات البحث

-1 ذكر ابن النديم من مؤلفات الخليفة العباسي المأمون كتاب: (جواب ملك البرغر فيما سئل عنه من أمور الإسلام والتوحيد) ، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق المعروف بالوراق . كتاب الفهرست في أخبار العلماء والمصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم ، تحقيق : رضا – تجدد ، (طهران 1391 هـ / 1971 م) ، ص 129 .

-2 ابن رستة . أبو علي أحمد بن عمر . الاعلاق النفيسة ، المجلد السابع ، مطبعة بريل ، (ليدن ، 1891 م) ، ص 141 .

-3 هربك ، أي . مادة (بلغار) ، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد السابع، إعداد وتحرير: ابراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتناوي ود. عبدالحميد يونس، كتاب الشعب، (القاهرة ، بدون تاريخ)، ص 599 ، الداقوقي، د. حسين علي . دولة البلغار المسلمين في حوض الفولجا ، المؤرخ العربي ، العدد : 21 ، (بغداد ، 1982 م) ، ص 203 ، 210 ، وذكر بارتولد (دائرة المعارف مج 7 ص 587) ، ان بلغار اسم شعب لا يعرف أصله على وجه التحقيق ، تكونت منه دولتان في أوائل القرون الوسطى أحداهما على نهر أتيل (الفولجا) ، والأخرى على نهر الدانوب ، وممن نقل عنه هذا الرأي : الديوةجي ، سعيد . الصلات بين العباسيين والبلغار ، الأقلام، ج5، السنة السادسة ، (بغداد ، 1970) ، ص 3 ، الداقوقي . دولة البلغار ص202، العبادي ، فاضل كاظم صادق . العلاقات التجارية والثقافية العربية الإسلامية بشرق أوربة خلال العصور العباسية ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ،كلية الآداب /جامعة بغداد، (بغداد ، 1412 هـ / 1991 م)، ص 16 .

-4 الديوةجي ، الصلات ص 3 .

-5 حسن ، د. زكي محمد . الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، (بيروت، 1401 هـ / 1981 م)، ص 26 .

-6 مادة (بلغار) ص 599 - 600 .

-7 بارتولد ، مادة (بلغار)، ص 587 .

-8 مادة (بلغار) ص 600 .

-9 الصقالبة من ولد سار بن يافث بن نوح ، ويرجع إليه سائر أجناس الصقالبة ، ويلحقون به أنسابهم ، ومن ملوك الصقالبة ملك الترك ، وهذا الجنس أحسن الصقالبة صوراً وأكثرهم عدداً وأشدهم بأساً . المسعودي ، علي بن الحسين بن علي . مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج 2 ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، (بيروت ، 1407 هـ/1987 م) ، ص 32 - 33 .

-10 البرجان من ولد يونان بن يافث ، وهم مملكة واسعة كبيرة ، كانوا يحاربون الروم والصقالبة والترك والخزر ، وأشد الأمم حرباً لهم الروم . المسعودي . أخبار الزمان ومن أباده الحدثان ، الطبعة الثانية ، دار الأندلس، (بيروت ، 1966 م) ، ص 97 .
وبرجان بلد من نواحي الخزر وصلته طلائع المسلمين في خلافة عثمان بن عفان(رض) . الحموي ، ياقوت بن عبدالله ، معجم البلدان ، المجلد الأول، (بيروت ، 1955 م) ص 373 ، الداقوقي ، دولة البلغار ص 200 .

-11 أنظر عن البلغار وأقسامهم : بارتولد ، بلغار ص 588،هربك ، بلغار ص 599 - 600 ، الداقوقي ، دولة البلغار ص 204 - 205 .

12- أحمد بن فضلان بن العباس ، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309 هـ / 921 م ، تحقيق : د. محمد سامي الدهان، المطبعة الهاشمية ،(دمشق ، 1379 هـ / 1959 م) ، ص 67 ، ويسمي ملك البلغار بـ : صاحب الصقالبة (ص 69) ، وأفرد فصلاً مطولاً بعنوان : الصقالبة (ص 111 - 146)، وذكر الداقوقي أن ابن فضلان يسمي البلغار بالصقالبة خطأً، دولة البلغار ص 209.

13- الأعلاق النفيسة ص 141 ، وذكر جماعات البلغار الثلاث : برصولا ، أسغل ، بلكار .

14- الحموي ، معجم البلدان مج 485/1 ، أنظر أيضاً : ابن عبدالحق البغدادي ، صفي الدين عبدالمؤمن . مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ج1 ، تحقيق علي محمد البجاوي ، الطبعة الأولى ، (القاهرة ، 1373 هـ / 1954 م) ، ص 219 ، وذكر الحموي أن بلاد الصقالبة هم أهل بلغار ، معجم البلدان مج 87/1 ، وذكر الديوقجي أن بلاد البلغار هي الصقالبة ، الصلات ص 3 ، وأن ملك البلغار (الصقالبة) ... (ص 5) ، وفي حديثه عن الوفد الذي أرسله الخليفة المقتدر إلى ملك البلغار ذكر منهم بارس الصقلبي، وهو من الصقالبة (البلغار)، المرجع نفسه ص 6 ، وذكر د. الدهان عن هذا الرجل أنه ثالث رجال الوفد ، وهو من الصقالبة (السلاف) . قدماء ومعاصرون ، مطابع دار المعارف ، (القاهرة ، 1961 م) ، ص 52 .

15- ذكر الاصطخري أن بلغار اسم المدينة وأهلها مسلمون ، فيها مسجد جامع . أبو إسحاق ابراهيم بن محمد ، مسالك الممالك ، مطبعة بريل، (ليدن ، 1937 م) ، ص 225 . أنظر عن اجناس البلغار: ابن رستة. الأعلاق النفيسة ص 141, هربك.مادة : بلغار ص 601 .

16- دائرة المعارف الإسلامية ، مادة (بلغار) ، مج 7 ص 592 .

17- رسالة ابن فضلان.هامش المحقق ص 67 ، وذكر أن الصقالبة والصقلبية هم السلاف أو السكلاف .

18- أبوحامد محمد بن عبدالرحيم ، تحفة الالباب ونخبة الاعجاب ، باعتناء : سيزار ، اي دوبلر ، (مدريد ، 1953 م) ، ص 9 ، 11 - 12 .

19- ذكر الغرناطي انه من أصحاب أبي المعالي الجويني . تحفة الالباب ص 12 ، وذكر د. زكي محمد حسن أن الغرناطي زار بلاد البلغار عام 530 هـ / 1135 م ، وصحب قاضيها يعقوب بن النعمان ، الذي ألف كتاباً في تاريخ البلغار ، ولا نعرف شيئاً عن هذا الكتاب الذي أطلع عليه الغرناطي . الرحالة المسلمون ص 31 ، أنظر أيضاً : بارتولد . مادة (بلغار) ص 596 ، الداقوقي . دولة البلغار ص 193 ، 210

20- تحفة الالباب ص 11 - 12 .

21- أنظر : ابن فضلان ، الرسالة ص 67 ، المسعودي . مروج الذهب ج2 / 32 - 33 ، وذكر أيضاً (أخبار الزمان ص 98 - 99) مملكة الترك وارجع نسبهم إلى ولد يافث بن نوح ، وهم أجناس كثيرة ، وأصحاب مدن وحصون ، أنظر ايضاً : الحموي . معجم البلدان مج 87/1 ، 485 .

22- تحفة الالباب ، ص 22 .

23- راجع رسالة ابن فضلان، وهي غنية بمعلومات عن العادات والقيم البالية التي كانت سائدة بين البلغار والخزر والترك والروس ، أنظر أيضاً : بارتولد , بلغار ص 594 ، هربك . بلغار ص 601 - 605 ، أحمد ، د. جمال رشيد . مع رحلة ابن فضلان إلى مدن البلغار

والتوران تشع بغداد معالم حضارتها إلى مختلف البلدان ، كتاب : بغداد في التاريخ ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، (بغداد ، 1991 م) ، ص 346 - 347 .

-24 معجم البلدان مج 373/1 ، عن البرجان راجع هامش رقم (10) .

-25 المصدر نفسه مج 367/1 - 368 .

-26 الديوة جي ، الصلات ص 3 .

-27 الفهرست ص 129 ، أنظر ايضاً : الديوةجي . الصلات ص 4 .

-28 الاعلاق النفيسة ص 141 ، د. جمال رشيد أحمد . مع رحلة ابن فضلان ص 345 .

-29 المصدر نفسه ص 141 - 142 ، أنظر أيضاً : بارتولد . بلغار ص 589 ، هربك . بلغار ص 605 ، حسن . الرحالة المسلمون ، ص 27 .

-30 الرسالة ص 124 ، أنظر أيضاً : الديوة جي . الصلات ص 3 ، بارتولد . بلغار ص 593

-31 ابن فضلان ، الرسالة ص 67 ، وهي توحي أن البلغار لم يدخلوا الإسلام إلا قبيل زيارة ابن فضلان ، وهذا غير دقيق . أنظر أيضاً : الحموي . معجم البلدان مج 486/1 ، بارتولد ، بلغار ص 589 .

-32 ابن فضلان ، الرسالة ص 67 ، كراتشكوفسكي ، أغناطيوس . تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، القسم الأول ، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم، (القاهرة، 1963 م) ، ص 187 ، الدهان . قدماء ومعاصرون ص 52 – 53 ، باتولد . بلغار ص 590 ، الديوة جي الصلات ص 3 – 4 ، حسن .الرحالة المسلمون ص 27 .

الموالي والمناصب الإدارية في الدولة الأموية

د. زريف مرزوق المعايطة
أستاذ مشارك - جامعة مؤته/كلية الآداب

كان بمقدور الموالي أن يصلوا إلى مختلف أنواع المناصب ودرجاتها في الدولة الإسلامية، أبان العصر الأموي، نستثني منها بالطبع (الخلافة) الذي كان وقفاً على قريش، ومنهم بني أمية مثلاً لأسباب دينية وعصبية معقدة معروفة، وكان ذلك ممكناً أيضاً، في ظل حكم الخلفاء الراشدين من قبل، وغير صحيح ما تناقله كثير من الباحثين وأشاعوه حول حرمان العرب للموالي من تولي المناصب الحكومية والإدارية والقضائية وخلافها . والأدلة بين أيدينا واضحة وعديدة لايمكن تجاهلها او إخفائها، وكلها تدحض هذا الرأي . يتضح ذلك من خلال المناصب والمسؤوليات التي تولوها، وهي كما يلي :

1- <u>الكتابة :</u>

من الوظائف التي شغلها الموالي خلال عهود خلفاء بني امية، وكان لهم اليد الطولى فيها، الوظائف التي تحتاج إلى أمور الحساب والكتابة، وهي الوظائف المختصة بأجهزة الدولة الإدارية والاقتصادية او بالمعنى الدارج آنذاك الدواوين(1). لقد بقي الموظفون القدامى مسؤولين عن دواوين الخراج ويستشعر هذا من قول زياد بن أبيه : " ينبغي ان يكون كُتّاب الخراج من رؤساء الأعاجم العالمين بأمور الخراج "(2)، ولم يفترض فيهم الدخول في الإسلام للاحتفاظ بمناصبهم هذه، إذ يرد ذكر سرجون بن منصور الرومي النصراني الذي كان على ديوان الخراج في الشام منذ أيام معاوية بن أبي سفيان حتى أيام عبدالملك بن مروان، ويبدو أنه دخل في الإسلام ووالى معاوية بن أبي سفيان(3)،وكان على خراج حمص في الفترة نفسها ابن أثال النصراني(4)، كما كان على ديوان خراج حمص ابن أسطين النصراني أيام هشام بن عبدالملك(5). ولعل في إسلام هؤلاء الموظفين وعقدهم الولاء مع العرب ما كان يضمن لهم الاستمرار في وظائفهم ويعطيهم بعض الامتيازات مثل البقاء في عملهم(6). واستعمل معاوية بن أبي سفيان مولاه عبدالله بن درّاج له على ولاية الخراج في الكوفة، بعد أن فصلها عن ولاية الصلاة عام 42هـ، في ولاية المغيرة بن شعبة(7)، وعبدالله بن درّاج هو أخو عبدالرحمن بن درّاج أحد كُتّاب معاوية ومولاه أيضاً(8). وأستُعمل وردان مولى عمرو بن العاص، على خراج مصر(9)، وتولى موالي العتاقة أيضاً أيام الأمويين دواوين الخراج، وقد ولىّ زياد بن أبيه مولاه سليم ديوان خراجه(10)، كما كتب لزياد بن أبيه على ديوان العراق زادان فروخ بن بيري الفارسي(11)، يساعده صالح بن عبدالرحمن الفارسي الأصل- مولى بني تميم- وأصله من سبي سجستان، وكان يخط بالعربية والفارسية، وقد أصبح صالح هذا رئيساً للديوان في ولاية الحجاج(12)، حيث قام بتعريبه، وتخرج على يديه كثير من الكتاب في العراق منهم المغيرة بن قرة، كتب ليزيد بن المهلب، ومنهم قحذم بن أبي سليم، وشيبة بن أيمن، كتب ليوسف بن عمر، ومنهم المغيرة وسعيد ابناء عطية، وكان سعيد يكتب لعمر بن هبيرة،

ومنهم : مروان بن اياس، كتب لخالد القسري(13) حتى قال فيه عبدالحميد الكاتب :" لله درّصالح ما أعظم منته على الكتب "(14)، واستمر صالح بن عبدالرحمن في خدمة الدولة، فولاه الخليفة سليمان بن عبدالملك خراج العراقين (15) "البصرة والكوفة"، وفاقت سلطته سلطة يزيد بن المهلب الوالي، فقد ضيق عليه ولم يمكنه من شيء، فضجر يزيد وطلب خراسان(16)، وكان يكتب لمصعب بن الزبير على خراج العراق سارزاد صاحب باذين(17).

وكان سليمان بن سعد الخشني، مولى خشين، أول مسلم ولى الدواوين كلها(18)، وقام بتعريب دواوين الشام لعبدالملك بن مروان، مقابل خراج الأردن ((والذي بلغت قيمته180.000 درهم)) (19). كما كتب سليمان بن سعد على ديوان خراج الشام للخلفاء: الوليد وسليمان وعمر بن عبدالعزيز(20). ولما حضرت الحجاج بن يوسف الوفاة عام 95ه، استخلف يزيد بن أبي مسلم بن دينار الثقفي على خراج العراق(21)، وكان مولى الحجاج، وكاتبه،ومشيره(22)، فأقر الخليفة الوليد بن عبدالملك هذا الاستخلاف حتى أنه قال:" مثلي ومثل الحجاج وأبي العلاء كمن ضاع منه درهم فوجد ديناراً "(23)، وقد أعجب به سليمان بن عبدالملك رغم بغضه لصنائع الحجاج وقال عنه :" مثل هذا فليصطنع " وذلك لوفائه(24)، وقد همَّ باستكتابه. وأمّره يزيد بن عبدالملك على إفريقية عام 102ه(25).

وولي أسامة بن زيدالتنوخي وهو من موالي معاوية الخراج في عهد سليمان بن عبدالملك، وفي عهد يزيد بن عبدالملك تولى بيت المال بمصر، وأنشأ مقياس النيل القديم، بجزيرة الروضة(26).

ولما تولى سليمان بن عبدالملك الخلافة صرف يزيد بن أبي مسلم، كاتب الحجاج عن العراق حربه وخراجه، وقلد يزيد بن المهلب الحرب والصلاة والخراج، فكره يزيد تقلد الخراج، واستعفي وقلد بدلاً منه صالح بن عبدالرحمن(27).

وولى عمر بن عبدالعزيز أبا الزناد عبدالله بن ذكوان. مولى رملة زوجة عثمان بن عفان بيت خراج العراق، مع عبدالحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب والي الكوفة عام 99ه(28). كما ولىّ ابنه عبدالرحمن خراج المدينة(29)، وولى نافع مولى ابن عمر بن الخطاب صدقات اليمن(30)، واستعمل محمد بن يوسف الثقفي(والي اليمن) طاووس بن كيسان على بعض الصدقة في اليمن(31).

وولى عمر بن عبدالعزيز ميمون بن مهران مولى بني نصر بن معاوية ديوان خراج الجزيرة الفراتية(32)، وتولى ابنه عمر بن ميمون بيت المال لمحمد بن مروان عامل الجزيرة(33). وكان أسامة بن زيد مولى كلب على دواوين الخراج والرسائل والجند معاً ليزيد بن عبدالملك(34)، وكان قحذم بن أبي سليم بن ذكوان، مولى آل أبي بكرة، على ديوان خراج العراق ليوسف بن عمر(35)، وكان سعيد بن عقبة، مولى بني الحارث بن كعب، على ديوان خراج هشام بن عبدالملك(36).

كتاب ديوان الرسائل :

غلب الموالي أيضاً على الأنواع الأخرى من الدواوين في الدولة، فكان على رسائل معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد: عبيد الله بن أوس الغساني(37). وقد روي أن سليمان

بن سعد، مولى خشين، كتب لمعاوية(38)، وكتب لزياد بن أبيه مرداس مولاه(39)، وقلّدا معاوية بن أبي سفيان، وابنه يزيد كل من: عبدالرحمن بن زياد، وسلم بن زياد خراسان وكتب لهما اسطفانوس(40)، وكان يكتب لمعاوية (الثاني) بن يزيد الريان بن مسلم وأبو الزعيزعة(41)، ويكتب لمروان بن الحكم على الرسائل أبو الزعيزعة مولاه(42).

وكان يكتب لعبدالملك بن مروان على ديوان الرسائل أبو الزعيزعة مولاه(43)، كما كان يكتب للخليفة عبدالملك مولاه دينار(44)، وكاتب نصراني يقال له: شمعل(45)، وكان يكتب لعبدالعزيز بن مروان يناس بن خمايا من أهل الرها وكان غالباً عليه(46). وكان على ديوان مصعب بن الزبير بالعراق عبدالله بن أبي فروة مولى الحارث بن الحفار مولى عثمان(47)، وعلى ديوان رسائل الحجاج بن يوسف يزيد بن أبي مسلم من موالي ثقيف ونافع مولاه(48)، وعلى ديوان رسائل الوليد بن عبدالملك جناح مولاه(49)، وعلى ديوان رسائل سليمان بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز الليث بن أبي رقية مولى أم الحكم بنت أبي سفيان(50)، وكان يكتب على رسائل مسلمة بن عبدالملك سميع مولاه(51).

وكتب ليزيد بن المهلب كوثر والمغيرة بن أبي قرة مولى سدوس(52). وكتب لعمر بن غبدالعزيز رجاء بن حيوة والحكم بن النعمان مولى الوليد بن عبدالملك واسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير(53). وكتب على ديوان رسائل هشام بن عبدالملك، والوليد بن يزيد بن عبدالملك سالم مولى سعيد بن عبدالملك(54)، ثم كتب للوليد بن يزيد بعد سالم ابنه عبدالله(55). وكتب ليوسف بن عمر الثقفي مولاه رشدين، وعلى رسائل العمال عقبة(56)، وكتب على رسائل خالد القسري: داود بن سعيد الكاتب(57)، وكتب لنصر بن سيار مجاهد مولى بني شيبان(58)، وتقلد ديوان الرسائل ليزيد بن عبدالملك ثابت بن سليمان بن سعد الخشني وعبدالله بن نعيم(59)، وكتب لابراهيم بن الوليد ابن أبي جمعة(60)، وكتب لمروان بن محمد عبدالحميد (الكاتب) بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري وزياد بن أبي الورد(61).

كتاب دواوين الخاتم :

وكانت دواوين الخاتم أيضاً بيد الموالي وبالذات موالي العتاقة، فكان على الخاتم لعبدالملك بن مروان: قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، فمات قبيصة، فولى مكانه عمر بن الحارث الفهمي مولى بني عامر بن لؤي(62)، وعلى ديوان خاتم الوليد بن عبدالملك عمر بن الحارث مولى عامر بن لؤي فمات فدفعه إلى جناح مولاه(63)، وذكر الجهشياري(64) أن متولي ديوان الخاتم للوليد بن عبدالملك شعيب العماني مولاه. وعلى ديوان خاتم سليمان بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز نعيم بن أبي سلامة مولى لأهل اليمن(65).

وعلى ديوان خاتم الخلافة، ليزيد بن عبدالملك مطير مولاه وقيل أسامة بن زيد مولى لأهل اليمن(66)، وعلى ديوان خاتم الخلافة لهشام بن عبدالملك الربيع بن شابور مولى بني الحريش، وعلى الخاتم الصغير والخاصة للخليفة هشام اصطخر أبو الزبير مولاه(67)، وعلى خاتم الخلافة ليزيد بن الوليد قَطَن مولاه وعمر بن الحارث مولى بني جمع(68)، وعلى خاتم الخلافة لمروان بن محمد مولى له وقيل عبدالاعلى بن ميمون بن مهران(69).

كتاب بيوت الأموال والخزائن :

وكانت بيوت الاموال والخزائن ايضاً بيد الموالي، فكان على بيوت الاموال والخزائن لعبدالملك بن مروان عمر بن الحارث الفهمي مولى بني عامر بن لؤي (70)، وعلى بيوت الاموال والخزائن للوليد بن عبدالملك عبدالله بن عمر بن الحارث(71)، وعلى بيوت الاموال والخزائن والرقيق والنفقات لسليمان بن عبدالملك عبدالله بن عمر بن الحارث مولى بني عامر بن لؤي(72)، وكان شهر بن موشب الاشعري الشامي مولى اسماء بنت يزيد الأنصارية على بيت المال (خزائن يزيد بن المهلب)(73)، وعلى الخزائن وبيوت الأموال ليزيد بن عبدالملك مطير مولاه(74)، وعلى الخزائن وبيوت الأموال لهشام بن عبدالملك، عبدالله بن عمر بن الحارث(75)، وعلى ديوان الجند والخراج وبيوت الأموال والخزائن لمروان بن محمد عمران بن صالح مولى هذيل(76).

كتاب ديوان الجند :

وقد استبد الموالي أيضاً بدواوين أخرى كديوان الجند، فكان عليه في عهد عبدالملك بن مروان سرجون بن منصور الرومي، فمات سرجون، فولىَّ سليمان بن سعد مولى خشين، واستمر عليه للخليفتين الوليد وسليمان ابنا عبدالملك(77)، وعلى ديوان الجند للخليفتين عمر بن عبدالعزيز ويزيد بن عبدالملك صالح بن جبير الغداني(78)، وكتب على ديوان الخراج والجند للخليفة هشام: أسامة بن زيد، ثم عزله وولى عبيدة بن الحبحاب مولى بني سلول ثم ولاه مصر وجعل مكانه سعيد بن عقلة مولى بني الحارث بن كعب(79)، وعلى ديوان الجند لمروان بن محمد عمران بن صالح مولى بني هذيل(80)

وعمل موالي العتاقة كُتّاباً شخصيين لمواليهم أو خَزنةً أي مسؤولين عن أموال مواليهم ونفقاتهم وكانت هذه المجموعة على صلة قوية بمواليهم، ومن الصعب عليهم الانفصال عنهم، وكانوا مرافقين لهم دائماً حتى أن البعض عدَّهم كالعبيد، لذا كان هؤلاء على اطلاع كامل بآراء مواليهم وعُدوا أمناء اسرارهم وكانوا يتحملون المسؤولية فيما لو طولب مواليهم بأمر ما أو اتهم بأمر سياسي متطرف، كما عمل موالي العتاقة كتبة يرافقون الجيوش عند القتال أو المرابطة في الثغور، وكانت مهمتهم كتابة الرسائل، وعهود الصلح أو المسؤولية في توزيع الغنائم، أو النفقة على أفراد الجيش، أو بمعنى آخر كانوا موظفين في ديوان الجند(81).

2- الحُجّاب :

عمل الموالي غالباً وخاصة موالي العتاقة حُجّاباً لمواليهم يأذنون للناس في الدخول عليهم، فقد عمل للرسول(ص) أنس مولاه حاجباً له(82)، وكان حاجب أبوبكر الصديق شديد مولاه(83)، وحاجب عمر بن الخطاب يرفأ مولاه(84)، وحاجب عثمان بن عفان حمران بن أبان(85)، وحاجب علي بن أبي طالب قنبر أبو زيد مولاه(86)، وكذلك كان حجاب خلفاء الدولة الاموية من مواليهم، وغالباً ما كان الحاجب يعد من صالح موالي الرجل(87). فكان حاجب معاوية بن أبي سفيان أبو أيوب مولاه(88)، وقيل سعد مولاه، وقيل رباح مولاه، وقيل زياد أبو نوف(89)، وحاجب يزيد بن معاوية ومعاوية(الثاني) بن يزيد صفوان مولاهما(90)، وحاجب مروان بن الحكم أبو سهل الأسود مولاه، وقيل أبو

المنهال مولاه(91)، وحاجب عبدالله بن الزبير، عبدالله بن سعد مولى حاطب بن أبي بلتعة(92)، وحاجب عبدالملك بن مروان أبو يوسف مولاه(93)، وحاجب الوليد بن عبدالملك سعيد مولاه، ويقال محمد بن أبي سهيل مولى مروان وقيل خالد مولاه وقيل يزيد مولاه(94)، وحاجب سليمان بن عبدالملك أبو عبيد مولاه، وقيل مسلم، وقيل أبو عسكر(95)، وحاجب عمر بن عبدالعزيز حُبيش مولاه، وقيل مزاحم مولاه(96)، وحاجب يزيد بن عبدالملك خالد مولاه، وقيل غالب مولاه، وقيل سعيد(97)، وحاجب هشام بن عبدالملك غالب بن مسعود مولاه(98)، وقيل الحريش مولاه(99)، وحاجب الوليد بن يزيد بن عبدالملك قطن مولاه وقيل قطري مولاه(100)، وحاجب يزيد بن عبدالملك جبير مولاه وقيل قطن مولاه(101)، وحاجب ابراهيم بن الوليد وردان مولاه وقيل قطن مولاه(102)، وحاجب مروان بن محمد سقلاب، ويقال مقلاس مولى له وقيل سليم مولاه(103).

3- حرس الخلفاء والولاة :

وكان الحرس المُخصص لحراسة الخلفاء اوالولاة من الموالي أيضاً، فكان على حرس معاوية بن أبي سفيان المختار مولى لحميّر، وقيل أبو المخارق مولى حميّر(104)، وعلى حرس يزيد بن معاوية سعيد مولى كلب(105)، وعلى حرس عبدالملك بن مروان عدي بن عياش مولى لحميّر، ثم جمعه لأبي الزعيزعة ثم الريان بن خالد بن الريان مولى بني محارب، فمات الريان، فولى ابنه خالد بن الريان (106)، وعلى حرس الحجاج بن يوسف أبو السكن مولى خشين(107)، وعلى حرس الوليد بن عبدالملك وسليمان بن عبدالملك خالد بن الريان مولى بني محارب (108)، وعلى حرس عمر بن عبدالعزيز، عمر بن المهاجر مولى الأنصار(109) وعلى حرس يزيد بن عبدالملك يزيد بن ابي كبشة السككي مولى عمر بن عبدالعزيز (110)، وقيل غيلان أبو سعيد مولاه(111)، وكان على حرس هشام بن عبدالملك نصير مولاه(112)، وعلى حرس الوليد بن يزيد بن عبدالملك: قطري مولاه(113)، وعلى حرس يزيد بن الوليد بن عبدالملك سلام مولاه(114)، وعلى حرس مروان بن محمد سقلاب مولاه(115).

4- رؤساء الشرطة :

وكان روَساء الشرطة في الغالب من موالي الخلفاء والأمراء او من موالي آخرين، فكان على شرطة معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد، يزيد بن الحر مولاه (116)، وكان زياد بن أبيه يقول : أربعة أعمال لا يليها الاّ المسن الذي عَضَّ على ناجذه : الثغر، والصائفة، والشرط، والقضاء. وينبغي ان يكون صاحب الشرط شديد الصولة، قليل الغفلة(117)، وكان على شرطة عبدالملك بن مروان يزيد بن أبي كبشة السككي(118)، وصاحب شرطة عمر بن عبدالعزيز روح بن يزيد السككي مولاه(119)، وعلى شرطة مروان بن محمد كوثر بن الاسود الغنوي(120)، وانخرط قسم من موالي العتاقة وموالي الموالاة في صفوف الشرطة في الامصار حتى ان بعض الروايات تفيد ان غالبيتهم كانوا من الموالي(121)، وروى الطبري ان الشرطة ايام حركة حجر بن عدي في الكوفة كانوا من الحمراء: أساورة الكوفة (122)، ويرد ذكر مولى لعبد شمس في البصرة كان من احد رجال الشرطة عام 66هـ(123)، وكان عبيد بن عمرو في شرطة الحجاج وأصله من سبي

سجستان(124)، وكان في شرطة المدينة ايام عبدالملك بن مروان مولى لسعيد بن المسيب(125).

وهكذا يمكن القول ان حماية رجال الدولة وحفظ الأمن في داخل الأمصار كانت من مهمات الموالي على الأكثر، وكان هولاء يتقاضون رواتباً من بيت المال، مما يدفع إلى القول ان وضعهم الاقتصادي كان جيداً .

5- الولاية على البلدان :

يلي منصب الخلافة في الأهمية منصب الولاية، فقد استعمل مَسْلمة بن مَخلد والي إفريقية ومصر من قبل معاوية مولاه الخاص، وقيل مولى الأنصار ابا المهاجر دينار والياً على إفريقية(126)، وفي عام 73ه ولى عبدالملك بن مروان طارق مولى عثمان على المدينة(127)،ثم ان عبدالعزيز بن مروان ولى موسى بن نصير مولى بني أمية والياً على إفريقية، كما عين موسى بن نصير مولاه طارق بن زياد على طنجة، واوكل اليه مهمة فتح الأندلس(128)، وولى عمر بن عبدالعزيز، اسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم المغرب(129)،ولما تسلمّ يزيد بن عبدالملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف إفريقية والمغرب(130)، ولكنه أساء السيرة فقتلوه، وعين بدلاً منه محمد بن يزيد مولى الأنصار والياً عليهم(131)، وكان الحجاج حين حضرته الوفاة عام95ه استخلف على العراق يزيد بن أبي مسلم(132)، وولى هشام بن عبدالملك إفريقية والمغرب عبدالله بن الحبحاب مولى بني سلول(133).

6- قيادة الجيوش والقضاء :

كان منصب قيادة الجيوش يلي منصب الولاة مباشرة، فكان طارق بن زياد مولى موسى بن نصير هو فاتح الأندلس(134)، وكان حيان النبطي مولى بني شيبان قائداً لجيش الموالي في خراسان الذي يقدر بسبعة آلاف عام 96ه(135)، ومغيث الرومي مولى الوليد بن عبدالملك قائداً للحملة المتوجهة إلى قرطبة(136).

وانفسَحَ أمام الموالي مجال القضاء ومن أعلام الموالي الذين تولوا القضاء شريح الكندي، ولي قضاء الكوفة منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب(رض) وأقام (بقي) قاضياً ستين سنة وقضى بالبصرة سنة(137)، وولي سعيد بن جبير القضاء في زمن الحجاج(138)، وولي وهب بن منبه(ت : 110ه) قضاء صنعاء في اليمن، وتولى ميمون بن مهران قضاء الجزيرة لعمر بن عبدالعزيز(139)، وبلال بن ابي بكرة قضاء البصرة(140).

وتشير مختلف الروايات إلى مشاركة الموالي مع القبائل العربية في الأحداث المختلفة في الفتوح او في الحروب او في الصراع بين الدولة والقبائل او الأحزاب، وبتعبير آخر مشاركتهم العرب الجندية والقتال .

الخلاصة :

نخلص مما تقدم في هذا البحث أن دواوين الخراج والرسائل والجند والخاتم وغيرها، ومناصب الحراسة والحجابة والشرطة، كانت من أحوج الوظائف العامة إلى الثقة والأمانة والإخلاص، وهذا يظهر لنا مقدار ما كان الأمويون يولون هؤلاء الموالي من ثقة عظيمة

بهم . وما ذكرنا من أسمائهم هو بُرهان قوي على موقف الدولة الأموية من الموالي المُخلصين لها سواء أكانوا من مواليهم أم من موالي القبائل المؤيدة.

وإذا دققنا في المعاني التي تترتب على تولي الموالي هذه المناصب الرفيعة في ميدان الإدارة، وجدنا ان بإمكان رؤساء الدواوين والحُجّاب ورؤساء الشرطة منهم ان يملأوا جميع الوظائف التي تقع تحت نفوذهم، أو معظمها، بموظفين من الموالي دون ان يكون لأحد من العرب حق الاعتراض، وهذا ما يفسر لنا ضآلة عدد الموظفين العرب في هذه الدواوين بالقياس إلى الموالي منهم .

ووجدنا الموالي يشاركون في مختلف نواحي الحياة. جنباً إلى جنب مع أسيادهم من العرب، وقد تمتعوا بحقهم الكامل في مزاولة طاقاتهم في كل مجال كانوا على استعداد للعمل فيه، واظهروا مواهبهم دون تخوف حتى اصبحوا سادة وأساتذة في كثير من الميادين التي عملوا فيها، بل انهم كانوا يسجلون أحياناً تفوقاً ظاهراً فيها على العرب أنفسهم .

وبهذا يكون الموالي- بخلاف ما هو شائع في كتب المحدثين ودراسات المستشرقين- قد ارتقوا إلى معظم المناصب المهمة في إدارة الدولة، وعملوا في أكثرها حيوية وحساسية أحياناً ؛ مما يدحض آراء الساعين إلى الإساءة والأمثلة التي ذكرناها سالفاً- على قلتها- خير دليل على ما توصلنا إليه.

هوامش البحث

1- الدوري، د عبدالعزيز. مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة، (بيروت، 1982)، ص43. جمال جودة، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للموالي في صدر الإسلام، دار البشير، (عمان، 1989)، ص118.

2- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت، 1960)،ج 2،ص234. جميل المصري، الموالي، دار أم القرى للنشر، (عمان،1988)، ص45.

3- ابن خياط، خليفة، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1977)، ص276. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، نشر ماكس شلوزنجر، (القدس، 1971)، ج1،ق1،ص136. الجهشياري، أبو عبدالله محمد بن عبدوس،الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الحلبي، (القاهرة، 1938)، ص24، 31، 33، 40. جمال جودة، الأوضاع, ص118.

4- اليعقوبي, تاريخ، ج2، ص223، الجهشياري، الوزراء, ص27، جمال جودة، الأوضاع، ص118.

5- الجهشياري، الوزراء، ص60.

6- المصدر نفسه، ص61، راجع أيضاً : جمال جودة، الأوضاع،ص118، 119 .

7- البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، مراجعة وتعليق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1978)، ص298، الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف, (القاهرة، 1969)، ج6، ص180 الجهشاري، الوزراء، ص24.

8- الطبري، تاريخ، ج6، ص180. الجهشاري، الوزراء، ص24. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والأشراف، دار مكتبة الحياة، (بيروت، 1981)، ص277. ابن عساكر، الحافظ ابوالقاسم علي بن الحسين بن هبة الله، تاريخ، مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد العمروي، دار الفكر، (بيروت، 1995)، ج28،ص35.

9- ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، (القاهرة، 1963)، ج1، ص133.

10- البلاذزي، أنساب، ج4، ق1، ص240، جمال جودة، الأوضاع، ص 119 .

11- البلاذري، فتوح، ص298. الجهشياري، الوزراء، ص 24 .

12- البلاذري، فتوح، ص298.

13- الجهشياري، الوزراء، ص37.

14- البلاذري، فتوح، ص298.

15- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(القاهرة، 1992)، ص361. ابن الاثير، عزالدين آبو الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت، 1965)، ج5، ص11.

16- الطبري، تاريخ،ج6، ص524- 525، ابن الاثير، الكامل، ج5،ص23.

17- الجهشياري، الوزراء،ص44.

18- ابن خياط، تاريخ، ص229. البلا ذري، فتوح، ص196. الجهشياري، الوزراء، ص40. المسعودي، التنبيه، ص227. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، المقدمة، دار القلم، (بيروت،د.ت)،ص193.

19- البلا ذري، فتوح، ص197 .
20- الطبري، تاريخ، ج6، ص180- 181. الجهشياري، الوزراء، ص47.
21- الجهشياري، الوزراء، ص43. ابن الاثير، الكامل، ج4، ص584 .
22- قدامة بن جعفر، الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق د.محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد،(بغداد،1981) ص346، القُضاعي، محمد بن عبدالله، أعتاب الكتاب، حققه صالح الأشتر، مجمع اللغة العربية، (دمشق ،1961)، ص75.
23- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، (بيروت،1982)، ج4، ص593.
24- المصدر نفسه، ج6،ص594.
25- المصدر نفسه،القضاعي. أعتاب، ص57.
26- الجهشياري، الوزراء، ص51. ابن عساكر، تاريخ، ج8، ص83- 85، ابن تغري بردي، النجوم، ج1، ص232.
27- قدامة، الخراج، ص420.
28- ابن قتيبة، المعارف، ص465، الذهبي، سير، ج5، ص448.
29- المصدر نفسه، ص465.
30- الذهبي، سير، ج5، ص98.
31- المصدر نفسه ، ص44.
32- ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، دار صادر،(بيروت،1958)،ج7، ص478، ابن قتيبة، المعارف، ص448- 449. الجهشياري، الوزراء، ص53. الذهبي، سير، ج5، ص73.
33- ابن سعد، الطبقات، ج7، ص478. ابن قتيبة، المعارف، ص449.
34- ابن عبدربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، دار أحياء التراث العربي،(بيروت، 1989)، ج4، ص410. ابن عساكر، تاريخ، ج8، ص83- 86.
35- الجهشياري، الوزراء,ص64. جمال جودة، الأوضاع، ص119.
36- جمال جودة، الأوضاع، ص119.
37- ابن حبيب، ابو جعفر محمد، المُحّبر، تحقيق أيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة،(بيروت، د.ت)، ص377. الطبري، تاريخ، ج6، ص180. الجهشياري، الوزراء، ص24، 31. المسعودي، التنبيه، ص281. ابن دقماق، صارم الدين ابراهيم بن محمد، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب،(بيروت، 1985)، ج1، ص75.
38- الجهشياري، الوزراء، 24.
39- المصدر نفسه، 26.
40- المصدر نفسه، ص29، 31.
41- الطبري، تاريخ، ج6، ص180. الجهشياري، الوزراء، ص32.
42- الجهشياري، الوزراء،ص33. المسعودي، التنبيه،ص285.
43- ابن خياط، تاريخ، ص299. الطبري، تاريخ،ج6، ص180. المسعودي، التنبيه، ص289.
44- الجهشياري، الوزراء، ص54.
45- المصدر نفسه، ص40.
46- المصدر نفسه، ص35 .
47- ابن عبدربه، العقد، ج4، ص399. الجهشياري، الوزراء، ص44.

48- ابن خياط، تاريخ، ص308. الجهشياري، الوزراء، ص 42.
49- ابـن خيـاط، تـاريخ، ص312. الطبـري، تـاريخ.ج6، ص181. ابـن عسـاكر. تـاريخ، ج11،ص284.
50- الطبري، تاريخ، ج6، ص181، ابن عبدربه، العقد، ج4، ص265. الجهشياري، الوزراء، ص48.
51- الطبري، تاريخ، ج6، ص181.
52- ابن خياط، تاريخ، ص317. الطبري، تاريخ، ج6، ص181.
53- ابـن خيـاط، تـاريخ، ص317. الطبـري، تـاريخ، ج6، ص181. ابـن عبدربـه، العقـد، ج4، ص402. ابن عساكر، تاريخ، ج15، ص80. ابن دقماق. الجوهر، ج1، ص95.
54- الطبري، تاريخ، ج6، ص180. ابن عبدربه، العقد، ج4، ص156. الجهشياري، الوزراء، ص86. المسعودي، التنبيه، ص295. ابـن عسـاكر، تـاريخ، ج20، ص77. القضـاعي، أعتاب، ص62.
55- الجهشياري، الوزراء، ص67.
56- ابن خياط، تاريخ، ص386. الجهشياري، الوزراء، ص63.
57- ابن خياط، تاريخ، ص351.
58- الجهشياري، الوزراء، ص366.
59- الطبري، تاريخ، ج6، ص181-182. الجهشياري، الوزراء،ص69. ابن دقماق، الجوهر، ج1، ص104.
60- الطبري، تاريخ، ج6، ص182.
61- ابن قتيبة، المعارف، ص549. الجهشياري، الوزراء، ص72. المسعودي، التنبيه، ص301. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د.احسان عباس، دار صادر،(بيروت،1978)، ج3، ص228- 229. ابن دقماق، الجوهر، ج1، ص108،.
62- ابن خياط، تاريخ، ص299، الجهشياري، الوزراء، ص38.
63- المصدر نفسه، ص312.
64- الوزراء، ص47. انظر أيضاً: الطبري، تاريخ، ج6، ص180- 181.
65- ابن خياط، تاريخ، ص319، 325.
66- المصدر نفسه، ص335. ابن عبدربه، العقد، ج4، ص409.
67- المصدر نفسه، ص362. المصدر نفسه ص 413.
68- المصدر نفسه، ص371. الطبري، تاريخ، ج6، ص181. ابن عبدربه، العقد، ج4. ص428
69- المصدر نفسه، ص408، ابن عبدربه، العقد، ج4، ص433 .
70- المصدر نفسه، ص299 .
71- المصدر نفسه، ص312 .
72- المصدر نفسه، ص319 .
73- الذهبي، سير، ج4، ص375 .
74- ابن خياط، تاريخ، ص335 .
75- المصدر نفسه، ص362. راجع أيضاً : ابن عساكر، تاريخ، ج9، ص175 .
76- المصدر نفسه، 408 .
77- المصدر نفسه، ص299، 312، 319 .

78- المصدر نفسه، ص324، 335 .
79- المصدر نفسه، ص362 .
80- المصدر نفسه، ص408. ابن عبدربه، العقد، ج4، ص433 .
81- جمال جودة، الأوضاع، ص119- 120 .
82- ابن خياط، تاريخ، ص99. ابن حبيب، المحبر، ص258. جمال جودة، الأوضاع، ص121 .
83- ابن خياط، تاريخ، ص123. ابن حبيب، المحبر، ص258 .
84- المصدر نفسه، ص156. المصدر نفسه .
85- المصدر نفسه، ص179. المصدر نفسه .
86- المصدر نفسه، ص201. المصدر نفسه ص259.
87- الطبري، تاريخ، ج7، ص35 .
88- ابن خياط، تاريخ، ص288. ابن حبيب، المحبر، ص259 .
89- ابـن حبيـب، المحبـر، ص259. اليعقـوبي، تـاريخ،ج2، ص238. الطبـري، تـاريخ، ج6، ص184. ابـن عبدربـه، العقـد، ج4، ص338. ابـن عسـاكر، تـاريخ، ج19، ص248. ابـن الاثير، الكامل، ج4، ص11 .
90- ابـن حبيـب، المحبـر، ص 259. اليعقـوبي، تـاريخ، ج2، ص253. المسـعودي، التنبيـه، ص281. ابن عساكر، تاريخ، ج4، ص182- 183. انظر : ابن دقماق، الجوهر، ج1، ص 75 .
91- ابن خياط، تاريخ، ص263. ابن حبيب، المحبر،ص259. اليعقوبي، تـاريخ،ج2، ص258. ابن عبدربه، العقد، ج4، ص372. المسعودي، التنبيه، ص270. ابـن دقمـاق، الجـوهر، ج1، ص83 .
92- ابن خياط، تاريخ، ص270 .
93- المصدر نفسه، ص299. ابن حبيب، المحبر، ص259. ابن عبدربـه، العقد، ج4، ص373. المسعودي، التنبيه، ص98. ابن دقماق، الجوهر، ج1، ص85.
94- ابن خياط، تاريخ، ص312. ابن حبيب، المحبر، ص295. اليعقوبي، تـاريخ، ج2، ص291. المسعودي، التنبيه، ص290. ابن عساكر، تاريخ، ج21، ص337. الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص3 . ابن دقماق، الجوهر، ج1، ص90.
95- ابـن خيـاط، تـاريخ، ص319. ابـن حبيـب، المحبـر، ص259. . اليعقـوبي، تـاريخ، ج2، ص299. المسـعودي، التنبيـه، ص291. الأربلـي، خلاصـة الـذهب المسـبوك، ص17. ابـن دقماق، الجوهر، ج1، ص92 .
96- ابن خياط، تاريخ، ص325. ابن حبيب، المحبر، ص259. المسعودي، التنبيه، ص292. ابن عساكر، تاريخ، ج12، ص91. ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق : سهيل زكار،(دمشق، 1988)، ج6، ص2804. الأربلـي، خلاصـة، ص21. ابن دقماق، الجوهر، ج1، ص95 .
97- ابـن خيـاط، تـاريخ، ص335. اليعقـوبي، تـاريخ، ج2، ص314. ابـن عبدربـه، العقـد، ج4، ص410. الأربلي، خلاصة، ص26. ابن دقماق، الجوهر، ج1، ص97 .
98- ابن خياط،تاريخ، ص362. ابن حبيب، المحبر، ص259. ابن عبدربـه، العقد، ج4، ص413. المسعودي، التنبيه، ص295. الاربلي، خلاصة، ص23. ابن دقماق، الجوهر، ج1، ص99 .
99- اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص328 .

100- ابن حبيب، المحبر، ص259. اليعقوبي، تاريخ، ج 2 ، ص334. الاربلي، خلاصة، ص44. ابن دقماق، الجوهر،ج1، ص102 .
101- ابـن حبيـب، المحبـر، ص259. اليعقـوبي، تـاريخ، ج 2 ،ص335. الاربلـي، خلاصـة، ص44. ابن دقماق، الجوهر، ج1، ص104 .
102- ابـن حبيـب، المحبـر، ص259. الاربلـي، خلاصـة، ص47. ابـن دقمـاق، الجـوهر، ج1، ص105 .
103- ابـن خيـاط، تـاريخ، ص408. ابـن حبيـب، المحبـر، ص259. اليعقـوبي، تـاريخ، ج2، ص347. ابـن عبدربـه، العقد، ج4، ص433. المسـعودي، التنبيـه، ص300. ابـن عسـاكر، تاريخ، ج21، ص368. الاربلي، خلاصة، ص48. ابن دقماق، الجوهر، ج1، ص108 .
104- ابـن خيـاط، تـاريخ، ص228. اليعقـوبي، تـاريخ، ج2، ص238. الطبـري، تـاريخ، ج6، ص180. ابن عبدربه، العقد، ج4، ص433. ابن الاثير، الكامل، ج4، ص11 .
105- اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص253 .
106- ابن خياط، تاريخ، ص229. ابن عبدربه، العقد، ج4، ص373. ابن عساكر، تاريخ، ج18، ص274، ج20، ص88 .
107- ابن خياط، تاريخ، ص308 .
108- المصـدر نفسـه، ص312، 319. اليعقـوبي، تـاريخ، ج2، ص291، 299. ابـن عسـاكر، تاريخ، ج16، ص318 .
109- ابن خياط، تاريخ، ص325. ابن عبدربه، العقد، ج4، ص402 .
110- المصدر نفسه، اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص314 .
111- المصدر نفسه. ابن عبدربه، العقد، ج4، ص409 .
112- المصدر نفسه، ص362 .
113- اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص334 .
114- المصدر نفسه، ص335. ابن عبدربه، العقد، ج4، ص428 .
115- المصدر نفسه، ص347. المصدر نفسه، ص432 .
116- ابن خياط، تاريخ، ص228. ابن عساكر، تهذيب، ج5، ص34. ابن دقماق، الجوهر، ج1، ص70. جمال جودة، الأوضاع، ص123 .
117- اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص235 .
118- ابـن خيـاط، تـاريخ، ص229. اليعقـوبي، تـاريخ، ج2، ص280. ابـن عبدربـه، العقـد، ج4، ص373. الذهبي، سير، ج4، ص443- 444 .
119- اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص308 .
120- ابن خياط، تاريخ، ص408. ابن حبيب، المحبر، ص259. اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص346. ابن دقماق، الجوهر، ج1، ص108 .
121- جمال جودة، الأوضاع، ص122 .
122- الطبري، تاريخ، ج5، ص258، 281. جمال جودة، الأوضاع،ص122 .
123- المصدر نفسه، ج6، ص67. المرجع نفسه والصفحة .
124- البسوي، المعرفة والتاريخ، ج3، ص365. الخطيب البغدادي، أبوبكر أحمد بن علي. تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي ، (بيروت،د.ت)، ج12، ص166 .
125- ابن سعد، الطبقات، ج5، ص95. البسوي. المعرفة والتاريخ، ج1، ص473.
126- البلا ذري، فتوح، ص230 .

127- الطبري، تاريخ،ج6، ص193 .
128- البلاذري، فتوح، ص232 .
129- المصدر نفسه، ص232- 233 .
130- المصدر نفسه، ص233 .
131- اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص313. الجهشياري، الوزراء، ص57 .
132- المصدر نفسه، ص290. المصدر نفسه، ص42 .
133- البلا ذري، فتوح، ص233 .
134- المصدر نفسه، ص232 .
135- الطبري، تاريخ، ج6، ص512 .
136- ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص5 .
137- ابن قتيبة، المعارف، ص433. الذهبي، سير، ج4، ص101- 106 .
138- المصدر نفسه، ص445. المصدر نفسه، ص321- 342 .
139- الذهبي، سير، ج4، ص545 .
140- ابن الأثير، الكامل، ج5، ص155 .

جغرافية

الجزر اليمنية في البحر الاحمر

أ.د. عبدالرقيب سعيد ثابت
قسم الجغرافيا – كلية الآداب – جامعة عدن

المقدمة :

للجزر أهمية خاصة لكافة دول العالم ، كونها امتداد لسيادتها وإضافة هامة لثرواتها الطبيعية ، وتتحكم بشريان مواصلاتها البحرية الوطنية منها والدولية ، والجزر اليمنية في البحر الأحمر تمتلك ميزة إضافية وهي تحكمها بالخط الملاحي الدولي الذي يربط الشرق والغرب عبر مضيق باب المنذب والجزء الجنوبي من البحر الأحمر .لذا فمن الأهمية بمكان على الباحثين تسليط الضوء عليها لمزيد من التوثيق والتعريف بها كجزء غال من الأرض اليمنية .

اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي والتحليلي استناداً على المراجع القليلة المتوفرة والخرائط الطبوغرافية المنشورة ، وكذا الزيارات الميدانية المتفرقة لسهل تهامة وبعض الجزر القريبة ، وهذا العمل ما هو ألا بداية لمزيد من البحث والدراسة لهذه الجزر الاستراتيجية الهامة.

البنية الجيولوجية والخصائص الجغرافية للجزء الجنوبي من البحر الأحمر:

تكون البحر الأحمر بفعل الانكسار العظيم الذي حدث في قشرة الأرض خلال العصر الكريتاسي ، ، واوائل الزمن الثالث ، وهو يحتل الجزء الأوسط من ظاهرة الأخدود الأفريقي العظيم الذي يمتد من بحيرة نياسا جنوباً حتى الشاطئ الشرقي من البحر الأبيض المتوسط شمالاً ، وقد أدى هذا الانكسار إلى تباعد شاطئ البحر الأحمر وتكون فجوة امتلأت بالمياه في فترات متعاقبة .

صاحب تكوين هذا الأخدود ظهور انكسارات شديدة عقدت من مظاهر السطح إلى جانب خروج لوافظ بركانية من باطن الأرض سببت في ارتفاع مناطق عديدة وظهور قمم جبلية مرتفعة على جانبي البحر الأحمر في المرتفعات الغربية من اليمن وهضبة الحبشة وجبال البحر الأحمر في كل من السودان ومصر (1) .

تولدت ضغوط هائلة في العصر الاوليجوسيني في الأجزاء الشمالية الغربية من البحر الاحمر فنتج عنها انفلاق في الجزء الجنوبي للبحر الأحمر من باب المندب غرباً حتى بئر علي شرقاً ، حيت عملت الثورانات البركانية الهائلة على تشكيل جبال بركانية على امتداد هذا الساحل الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية ، كما تولدت مجموعة من الانفجارات البركانية التي كونت مجموعة الجزر على امتداد شاطئ البحر الأحمر لازال مستمراً حتى الان ، حيت قدر تحرك اليابسة الانفصالي لكل من الساحل اليمني والساحل الأفريقي ب 1.6 سنتمتر كل عام .

أمكن التعرف على مكونات قاع البحر الأحمر والشواطئ المحيطة به ، حيت قدر سمك الرسوبيات في الجزء العميق من البحر بحوالي كيلومتر واحد مقابل سمك اكبر قد

يصل إلى سبعة كيلومترات بهذه القشرة على جانبي البحر في كل من سهل تهامة والساحل الإريتري ، وتلي هذه الرسوبيات صخور جرانيتية في ساحلي البحر الأحمر وصخور بازلتية في قاع البحر.

يمثل الجزء الجنوبي من البحر الأحمر الجزء الأقل عمقاً من هذا البحر حيت تغطي المياه الضحلة مدخله الجنوبي وبالتالي فأن الرفرف القاري يربط الساحل اليمني بالساحل الأفريقي ، ولا يتعدى عمق المياه 150 متراً ، كما تمتد المياه الضحله باتجاه الشمال في المياه المحيطة بجزر زقر والحنيش الكبير والصغير وتواصل امتدادها نحو الشمال قرب الساحل اليمني حتى مجموعة الجزر المقابلة لميناء ميدي . أما المياه العميقة فتبداء من الجزء المقابل لميناء غلافقة حيت تصل عمقها اكثر من 500 متر ، لذا فأن مجموعة جزر الزير تقع في المياه العميقة وكذلك الحال جزيرة جبل الطير الواقعة شمال مجموعة الزبير ، لان المياه العميقة تمتد على شكل لسان باتجاه الشمال متوسط عرضها 30 كيلومتراً .

لعب الانتشار الواسع للمياه الضحلة في الساحل اليمني ومياهه الإقليمية دوراً مهماً في تجمع الأسماك بكميات كبيرة وبأنواع متعددة تصل إلى 300 نوع ، اعتمادا على وفرة الطحالب والبلانكتون في البيئة البحرية الضحلة على شاطئ البحر والجزر المتناثرة بالقرب منه، ومن اشهر الأسماك الاقتصادية في البحر الأحمر هي البوري (العربي) والبر بوني او العنبر والديرك والهامور والقرم والجحش والتونه وغيرها .

كما ساعدت ضحالة المياه في الجزء الجنوبي من البحر الأحمر وارتفاع درجة حرارة مياهه وملوحته العالية على زيادة نشاط الحيوانات البحرية المرجانية ، فتكونت شعاب مرجانية على طول الساحل اليمني ، ابتداء من خور الشيخ سعيد جنوباً وعلى امتداد الساحل حتى المياه القريبة من ميناء المخا ، لتبداء مرة أخرى في المياه الواقعة شمال ميناء المخا حتى الخوخه وهناك يبداء هذا الحاجز بالتقطع إلى ان ينتهي في المياه القريبة من رأس مطينة المواجهة لجزيرة زقر ، ومن هذه النقطة يختفي النشاط المرجاني وتصبح المياه خالية من الشعاب المرجانية حتى رأس عيسى الواقع في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة الصليف حيت تتواجد الشعاب المرجانية على نطاق واسع حيت تحيط بالساحل اليمني والجزر القريبة منه مثل كمران ، عقبان ، انتوفاش حتى مجموعة الجزر الواقعة قبالة ميناء ميدي وقد أدى انتشار الشعاب المرجانية في هذه المنطقة على نطاق واسع الى قلة الموانئ نظراً لما تشكله هذه الشعاب المرجانية من خطورة على الملاحة البحرية ومن جهة أخري شكلت الشعاب المرجانية بيئة مثالية لتوفر الأحياء البحرية المتنوعة ، فانتشرت الأصداف ذات المحار منها محار اللؤلؤ قبالة سواحل ميناء اللحية ، وكذا حيوانات مرجانية منتشرة بكثرة على شكل شطوط وحواجز تنمو بالقرب من الساحل حتى أعماق تزيد على مائة متر ، ويوجد نوع منها يعيش على اعماق كبيرة هو ((اليسر)) وتصنع منه حبات المسابح ولونه اسود ،كما تنتشرا لحيوانات اللافقارية الأخرى بكثرة في القاع ومنها خيار البحر ومن الحيوانات القشرية الشهيرة في البحر الأحمر الجمبري والاستاكوزا (2).

بالعودة إلى تضاريس الجزر اليمنية المنتشرة في البحر الأحمر ، يمكن تقسيمها الى نوعين ، فالجزر اليمنية القريبة من الساحل تتكون من سهول رملية قليلة الارتفاع ابتداء من جزيرة الطرفة بالقرب من خورغلافقةحتى الجزر المقابلة لميناء ميدي شمالاً ، وهي امتداد للساحل اليمني انفصلت عنه بفعل عمليات الرفع والهبوط لقاع البحر الأحمر ، لذلك فأن مكونات سطح هذه الجزر يتفق مع مكونات ساحل تهامة من الحجر الرملي والرمل الخشن والجبس مع وجود قباب ملحية في بعض المواقع ، أما النوع الثاني فهي الجزر الواقعة في منتصف البحر الأحمر ، وتتكون في معظمها من جبال بركانية ابتداء في ميون ومجموعة حنيش الكبير وزقر ومجموعة جزر الزبير وجبل الطير ، وهي جميعا مكونه من الصخور البركانية مع وجود أر سابات في السواحل الضيقة التي تحيط بها .

تتميز سواحل البحر الأحمر بارتفاع درجة الحرارة طول العام حيت يصل معدل درجة الحرارة لشهر يوليو 29م ، ولشهر يناير 23م ، اما أيام الصيف في الجزر اليمنية وساحل تهامة فهي حارة جداً ، حيت يتزايد شعور السكان بمفعول هذه الحرارة بتأثير تعرضهم للإشعاع المباشر الذي ترسله الشمس خلال السماء الصافية الخالية من الغيوم من جهة وبتأثير الإشعاع الأرضي الصادر عن الرمال الحارة من جهة أخرى ، كما أن الرطوبة العالية في هذه المناطق الساحلية تجعل المناخ اكثر إزعاجا من المناطق الداخلية ، كما أن ليالي هذه الأجزاء حارة ورطبه حتى نسيم البحر خلال فصل الصيف رطب جداً ولا يقابل من السكان بارتياح تام وبالرغم من ان فصول الشتاء اكثر برودة من فصول الصيف ، غير أن درجة الحرارة لم تهبط اكثر من 16م ، في ساحل تهامة الجنوبي ، كما لم تصل إلى درجة التجمد في أي جزء من البحر الأحمر ، لذلك فأن الجزء الجنوبي من البحر الأحمر وسواحله يتمتع باعلى معدل سنوي لدرجات الحرارة على وجه الكرة الارضية حيت تبلغ 30م، (3) حيت تساعد سلسلتي الجبال على جانبي البحر الأحمر في كل من شبة الجزيرة العربية والجانب الأفريقي على ركود الهواء فوق هذه المنطقة لفترات طويلة مما ضاعف الشعور بالحرارة المرتفعة .

يقع البحر الأحمر في فصل الشتاء بين نطاقين من الضغط الجوي المرتفع في كل من أسيا وأفريقيا ، حيت يتشكل فوقه نطاق صغير من الضغط الجوي المنخفض ، والذي يلتحم شمالاً مع نطاق الضغط الجوي المنخفض فوق البحر الأبيض المتوسط ، ويتكون بالقرب منه فوق مرتفعات اليمن نطاق من الضغط الجوي المرتفع والذي يؤدي الى اندفاع رياح جنوبية وجنوبية شرقية إلى البحر الأحمر ومن الشمال تهب رياح شمالية غربية وتلتقي هذه الرياح عند خط عرض 20 شمالاً، حيت تحدث رياح عاصفة شديدة مع أمطار رعدية لفترة قصيرة ثم تتلاشى. اما في فصل الصيف فتهب على البحر الأحمر الرياح الموسمية الجنوبية الغربية والتي تسقط أمطارا غزيرة على هضبة الحبشة وجنوب السودان ، اما في البحر الأحمر فأنها لاتسقط أي مطر وذلك لوقوعها في ظل المطر ومع ذلك فأن هذه الرياح تزود بكميات كافية من الرطوبة لتسقط المطر على المرتفعات الغربية في اليمن وجبال عسير .

الموقع الفلكي والجغرافي للجزر اليمنية في البحر الأحمر

تنتشر في أرجاء مياه الساحل الغربي لليمن مجموعة كبيرة من الجزر المختلفة في المساحة والارتفاع ، وتبعاً لموقعها الفلكي والجغرافي يمكن تقسيمها الى خمس مجموعات على النحو الاتي (4):

1 – مجموعة الجزر الصغيرة المنتشرة قبالة ميناء ميدي :

وهي جزر رملية سهلية لايزيد ارتفاعها عن 22متر فوق سطح البحر ، ويتوسطها خط طول42.30شرقاً وخط عرض 16.20شمالاً واهم الجزر الموجودة في هذه المجموعة دجيله وسمير وباري وبكلان ودوحراب وفاشت والبيضاء ، وهي جزر غير مأهولة بالسكان ويتجنبها الصيادون لانتشار الشعاب المرجانية حولها على وجه الخصوص في الجزء الشمالي والجزء الشرقي ، ولعل جزيرة دوحراب تمثل اهم جزر هذه المجموعة لاشرافها على الممر الملاحي في هذة المنطقة ، وتبعد عن الساحل بحوالي 84 كم ، ولاحاطتها بالشعاب المرجانية وجدت فيها مصائد غنيه بالاسماك ، ممايودي الى تردد الصياديين اليمنيين عليها باستمرار ، كما تأتى جزيرة بكلان الواقعة على بعد 34كم من الساحل اليمني في المرتبة الثانية من حيت الأهمية ، وذلك لوفرة الأحياء البحرية ، وتتوفر فيها محطة لتحلية المياه لخدمة الصيادين المترددين عليها .

وجزر هذه المجموعة نقع جنوب خط الحدود البحرية المرسوم بين الجمهورية اليمنية والمملكة العربية السعودية بموجب المعاهدة الموقعة بينهما في 12يونيو 2000م ، حيت يمتد خط الحدود بين نقطة رأس المعوج شمالي منفد رديف قراد على خط عرض16.24شمالاً وخط طول 42.46 شرقاً حيت يتجه الخط بشكل مستقيم وموازي لخطوط العرض ويلتقي بخط طول 42.09 شرقاً حيت ينحني في اتجاه جنوبي غربي في اتجاه الغرب حتى نهاية الحدود البحرية بين البلدين من نقطة تقاطع خط عرض16.17شمالاً وخط الطول 41.27 شرقاً وذلك في المياه العميقة (5).

2 – مجموعة الجزر المقابلة لميناء اللحية والصليف :.

وهي اكثر اتساعاً من المجموعة الاولى ، واهم الجزر المنتشرة هنا هي جزيرة كمران الواقعة على خط طول 42.31 شرقاً وخط عرض 15.20 شمالاً ، وتاخد امتداد طولي من الشمال الى الجنوب وهي جزيرة سهلية لايزيد ارتفاعها عن 24 متر فوق سطح البحر ، وتحيط بها الشعاب المرجانية من كافة الجوانب عدا الجانب الشرقي المواجه لميناء الصليف ، وتبلغ مساحتها 70 ميلا مربعا(6)، ويبلغ متوسط درجة حرارة الصيف فيها حوالي 33 م ، كما ان كمية الأمطار السنوية الساقطة على الجزيرة حوالي 103 ملم في اشهر الصيف ، اما في فصل الشتاء فتصل الى 70 ملم . سميت الجزيرة بقمران لان ظل القمر يظهر في بحرها كأنه قمران وليس قمر واحد ، وقد احتلتها بريطانيا بعد الاستيلاء على عدن ، واستخدمتها محجراً صحياً للحجاج وكقاعدة بحرية للسفن الصغيرة .

من الجزر القريبة لكمران تقع جزيرة عثمان رامز في الخليج الشمالي للجزيرة وتبلغ مساحتها 6 كيلومتر ، والى الغرب منها تقع جزيرة عقبان الصغرى ، والى الشمال الغربي تقع جزيرة البوصني والتي تاخد شكل حدوة حصان والى الغرب منها تقع جزيرة

عقبان الكبرى ، وشمالاً تقع جزيرة كدمان الكبرى وكدمان الصغرى ومن الجزر المواجهة لميناء اللحية تقع مجموعة من الجزر تتوسطها جزيرة انتوفاش الرملية والتي يصل اعلى ارتفاع فيها الى 36 متر فوق سطح البحر وتبلغ مساحتها 28 كم وهي طولية الشكل الى الغرب منها تقع جزيرة الكدما والى الشمال منها تقع جزيرة بري واللبان ، وفي اقصى شمال هذه المجموعة تقع جزيرة الرمال ، والى الغرب من هذه المجموعة وفي الجزء العميق من البحر الاحمر ، تقع جزيرة جبل الطير والتي تقع على خط طول 41.45 شرقاً وخط عرض 15.35 شمالاً ، وهي عبارة عن جبل بركاني يوجد على قمته فنار لارشاد السفن المتجه الى شمال وجنوب البحر الاحمر ، وهي جزيرة استراتيجية لوقوعها بالقرب من خط الملاحة الدولي ، تبلغ مساحتها 15كم وبالرغم من عدم وجود سكان فيها ، الا انه يتوفر فيها ساحل رملي صغير يسمح برسو السفن الصغيرة لتموين طاقم تشغيل الفنار بالمؤن والإمدادات المتنوعة ، وقد كانت بريطانية تدير هذا الفنار منذ نهاية 1962م نيابة عن الدول البحرية حتى عاد هذا الحق إلى اليمن عام 1989م (7).

3 – مجموعة جزر الزبير :

تقع هذه الجزر بين خطي عرض 15 شمالاً و15.20 شمالاً وتقع في الجزء العميق من البحر الأحمر ، ومعظمها جزر بركانية تكونت بفعل الثورانات البركانية القديمة ، ولوجود هذه الجزر في الجزء العميق من البحر فأن شواطئها تكاد تكون خالية من الشعاب المرجانية مما يجعلها صالحه لرسو السفن الصغيرة والمتوسطة ، ومن أهم الجزر في هذه المجموعة هي جزيرةالزبير التي يصل أقصى ارتفاع لها في الأجزاء الجنوبية إلى 224 متر ويوجد على الجزيرة فنار ، وفيها مرسى للسفن الصغيرة والتي يمكن من خلالها إيصال الإمدادات . والى الجنوب الغربي منها تقع جزيرة القمة الوسطى أما الى الشمال والشمال الغربي فتقع جزيرة صباح والصخور الشرقية والسرج والجزيرة المسطحة والجزيرة الوعرة .

4 – مجموعة جزر ارخبيل حنيش :

تنحصر هذه الجزر بين خطي طول 42.30 شرقاً و43 شرقاً وبين خطي عرض 13.20شمالاً و14.10 شمالاً وهي جزر استراتيجية لوقوعها بالقرب من خط الملاحة الدولي .

تتكون هذه المجموعة من اربع جزر رئيسية واخرى ثانوية ، حيت تقع جزيرة ابو علي في الجزء الشمالي الشرقي من المجموعة ، ويغلب على سطحها الصخور البركانية التي تميل الى اللون البني الفاتح ، ويفصلها عن جزيرة زقر مسافة 3.5 الميل وهذه المسافة هي الممر الوحيد للسفن التي تعبر المنطقة للاسترشاد بالفنار الموجود على اعلى هذه الجزيرة والبالغ 117 متر ، وللجزيرة مرسى للسفن لامداد طاقم الفنار بالتموينات الضرورية ، ويقع الى الجنوب الغربي منها جزيرة زقر والتي تقع على خط طول 42.45 شرقاً وعلى خط عرض 14 شمالاً ، وهي اكبر الجزر حيت يصل طولها من الشمال الى الجنوب حوالي 20 كم واقصى عرض لها 12كم وتبلغ مساحتها 130 كم^2 وهي عبارة عن جبل بركاني يصل ارتفاعه الى 571 كتر وينحدر بشدة نحو البحر في الجهة الشمالية

بينما ينحدر بصورة تدريجية في الجهة الجنوبية ، ويوجد في الجزيرة فنار لارشاد السفن، كما يوجد في الجزء الجنوبي الغربي منها خليج صالح لرسو السفن الصغيرة ، وبمواجهة الخليج توجد جزيرتان صغيرتان هما اللخم والجزيرة القريبه ، اما في الجزء الجنوبي الغربي فتقع جزيرة اللسان وعلى بعد ثلاثة كيلومترات ونصف من طرف جزيرة زقر تقع جزيرة الحنيش الصغير ، وهي جزيرة بركانية تبلغ مساحتها 7كم^2 ويصل ارتفاع اعلى قمة فيها 191 متر ، والى الجنوب منها تقع جزيرة الحنيش الكبير على خط طول 42.43 شرقاً وخط عرض 13.45 شمالاً، وتمتد الجزيرة باتجاه شمالي شرقي وجنوبي غربي ، يبلغ اقصى طول لها 19 كم واقصى عرض لها 6 كيلومترات ، ومساحتها الاجمالية 68 كم وهي عبارة عن جبل بركاني يصل ارتفاع قمته 406 متر فوق سطح البحر ، وينحدر بصورة تدريجية في كافة الاتجاهات ، وتوجد فيها بعض اشجار النخيل، ومن طرفها الجنوبي يمكن مراقبة الحركة الملاحية للسفن العابرة للبحر الاحمر الامر الذي يمنحها ميزة استراتيجية خاصة ، وتقع الجزيرة وسط شعب مرجانية تحيط بها من كل الجوانب ، مما يساعد على تنوع الاسماك في مياهها القريبة ، فيتردد الصيادون اليمنيون عليها في مواسم اصطياد الاسماك(8).

تنتشر في الجهة الشرقية من الجزيرة مجموعة من الجزر الصغيرة هي: عيل، كوين ، الجزيرة الدائرية ، القمة الثنائية ، باركين .

5 – جزيرة ميون :

تقع جزيرة ميون على خط عرض 12.40 شمالاًوخط طول 43.25 شرقاً وساحتها 13 كيلومتر^2 ، وهي جزيرة قاحلة تتخذ شكل الهلال وهي مليئة بالصخور البركانية وتفتقر الى المياه الصالحة للشرب،اذ ان التساقط السنوي للامطار فيها لايتجاوز 63ملم سنوياً ومتوسط الحرارة خلال اشهر الصيف تبلغ 32م وطول جزيرة ميون 5كم وعرضها 3.2كم، واعلى نقطة في الجزيرة تعلو سطح البحر ب71 متر ، اقيم فيها فنار لارشاد السفن تقوم بتشغيله هيئة الموانئ لخدمة الملاحة الدولية ، وتحتوي الجزيرة على مرفئ صغير عند طرفها الجنوبي الغربي.

تتحكم جزيرة ميون بالجهة الجنوبية للبحر الاحمر ، لوقوعها في مضيق باب المنذب الممتد من الساحل اليمني عند جبل الشيخ سعيد حتى الساحل الافريقي جهة الغرب ، وتقسم الجزيرة مضيق باب المندب الى ممرين هما

(1) الممر الشرقي ويسمى باب الاسكندر عرضه نحو 3 كيلومترات وعمقه 26متر .
(2) الممر الغربي ويسمى ممر ميون وهو الممر المائي الدولي لمضيق باب المنذب ، ويبلغ اتساعه 20 كيلومتر وعمقه 300 م

الأهمية الاستراتيجية للجز اليمنية في البحر الاحمر :

لعبت اليمن عبر تاريخها الطويل دوراً مهماً في العلاقات التجارية الدولية ، بسبب موقعها الجغرافي المتميز والمتحكم في حلقة الوصل الرئيسية بين الشرق والغرب ، فقديماً كان الخط الجنوبي للتجارة العالمية ينقسم الى قسمين الاول يتجه من الموانىء الجنوبية لليمن عبر الاراضي الداخلية حتى شرق البحر الابيض المتوسط ، القسم الاخر

يتجه غرباً حتى باب المندب والبحر الاحمر حتى الموانىء المصرية جنوب خليج السويس، وقد كان اختيار احد الطريقين يتوقف على الاستقرار السياسي في اليمن ، ففي ظل الاستقرار والامن كانت حركة التجارة تفضل الخط البري ، تجنباً لمخاطر الملاحة في البحر الاحمر بسبب انتشار الشعاب المرجانية وعدم انتظام هبوب الرياح ، ومع استخدام قوة البخار في تسير السفن التجارية تحولت التجارة بصورة نهائية الى الخط الملاحي البحري ممازاد من اهمية هذا الممر البحري كونه يشكل اقرب نقطة لاتصال اوروبامع الشرق .

ادت اهمية الجزر اليمنية في البحر الاحمر بسبب اشرافها على خط الملاحة الدولية الى استهدافها من قبل القوى الاستعمارية التي ظهرت في العصر الحديث ، فقد سعى البرتغاليون منذ نهاية القرن الخامس عشر وبعد اكتشافهم لطريق رأس الرجاء الصالح ووصولهم الى مصدر البضائع الشرقية في الهند إلى تأمين هذه السيطرة عن طريق احتلال الموانئ والجزر اليمنية لمنع اليمن من الاستمرار في المتاجرة بين الهند ودول البحر الأبيض المتوسط كما جاء العثمانيون والمماليك وقاموا باحتلال اليمن وطرد البرتغاليين منها لغرض تأمين حركة التجارة والسيطرة على الملاحة البحرية في البحر الأحمر الذي يعتبر اقصر الطرق بينهم وبين دول الخليج العربي والمحيط الهندي، وتبعهم الهولنديون الذين حاولوا إقامة مراكز تجارية لهم في السواحل اليمنية ، واخيراً جاء البريطانيون الذين قاموا باحتلال الشطر الجنوبي من اليمن ابتداء بعدن عام 1839م والجزر اليمنية في البحر الأحمر عام 1840م ، وبافتتاح قناة السويس عام 1869م تعاظمت أهمية البحر الأحمر من الناحية التجارية والاستراتيجية فتسابقت دول أوربية كبرى للسيطرة عليه حيت قامت إيطاليا باحتلال ارتيريا واتخاذ عصب ميناء لها كما قامت فرنسا بإنشاء قواعد عسكرية لها في ابوك عند مدخل باب المنذب .

بالرغم من استقلال دول المنطقة من الاستعمار الأجنبي في النصف الثاني من القرن الماضي ، إلا أنها لازالت تراقب عن كثب هذا الممر المائي الهام ومستعدة للتدخل العسكري في حالة تعرض حركة الملاحة لأي خطر، لانه الشريان الرئيسي الذي يمدها بالنفط من الخليج العربي ، حيت يمر فيه 60% من النفط الذي تستهلكه أوروبا ، كما يمر فيه كميات كبيرة من النفط إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، إضافة إلى ذلك فأن حركة التجارة النشطة بين أوروبا الصناعية وشرق أفريقيا وجنوب شرق آسيا ، تمر في هذا الخط ، كذلك فأن الدول الكبرى ترى ان استمرارية تدفق النفط إليها لايقل في أهميته عن النفط نفسه، فتبذل جهود كبيرة لجعله ممراً ملاحياً دولياً مفتوحاً .

ظهرت إسرائيل في السنوات الأخيرة كقوة إقليمية تتجه بنظرها إلى البحر الأحمر باعتباره المنفذ الوحيد لها إلى القارة الأفريقية وجنوب شرق أسيا ، إضافة إلى عبور إمدادات النفط إليها من الخليج العربي إلى ايلات والى خط الأنابيب الممتد منها حتى ميناء عسقلان في البحر الأبيض المتوسط ، لذلك فقد وضعت خطط استراتيجية عديدة تسمح لها بعرقلة أي محاولة لإغلاق باب المنذب في وجه الملاحة البحرية ، بل تعدى ذلك إلى إمكانية فرض حصار بحري إسرائيلي على الدول العربية المطلة على البحر الأحمر ومن ضمن هذه الخطط عملت إسرائيل على استئجار جزيرة دهلك من النظام الأثيوبي

السابق أقامت عليها منشآت عسكرية مهمة لمراقبة حركة الملاحة في البحر الأحمر ، ولتكون على مقربة اكثر من بوابته الجنوبية باب المندب، كما استأجرت جزيرتي حالب وفاطمة الواقعتان بالقرب من ميناء عصب الارثيري (10) حيت أقامت بهما مرافئ عسكرية مزودة بزوارق مسلحة ومدافع وصواريخ ارض جو وارض ارض ، كما تقوم السفن الحربية الإسرائيلية والغواصات بزيارة هذه الموانئ من وقت لاخر ، بحيت يضمن لها السيطرة على باب المنذب متى ما أرادت ذلك ولتتمكن من الإشراف على حركة الملاحة من باب المنذب جنوباً حتى ايلات شمالاً.

من ذلك كله تتجلى اهمية جزر البحر الأحمر ، كونها تشرف على الخط الملاحي العابر لهذا البحر، الامر الذي يستدعي مزيد من الاهتمام بها حتى تصبح قادرة على التعامل الإيجابي مع أية أحداث طارئة على المنطقة لمصلحة اليمن والدول العربية الأخرى .

المراجع :

1 – محمود طه ابو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العربية الجزء الثالث – جامعة الكويت – الطبعة الاولى 1972م ص8 .
2 – عبدالله علي بورجي ، الجزر اليمنية في البحر الاحمر ، منشورات 26 سبتمبر صنعاء ،ص18
3 – كندورة، مناخ القارات ، منشورات جامعة بغداد 1967 الجزء الاول ص352
4 – خارطة طبوغرافية للساحل الغربي من اليمن ، باللغة الروسية،اصدار المعهد الكارتوجرافي ، موسكو 1984م
5 – عبد الرقيب سعيد ثابت، الجغرافي، الجمعية الجغرافية اليمنية العدد الثالث، يناير 2001م ، ص3
6 - عيدروس علوي بلفقيه، جغرافية الجمهورية اليمنية، سلسلة الكتاب الجامعي ، جامعة عدن 1997م ص308
7 - عبدالله علي بورجي، مرجع سابق ص41
8 - احمد محمد الاصبحي ، أطلاله على البحر الأحمر والنزاع اليمني الارثيري-دار النشر،عمان 1996م ص98
9 - عبدالله علي بورجي ، مرجع سابق ص39
10 – احمد محمدالاصبحي ، مرجع سابق ص98 .

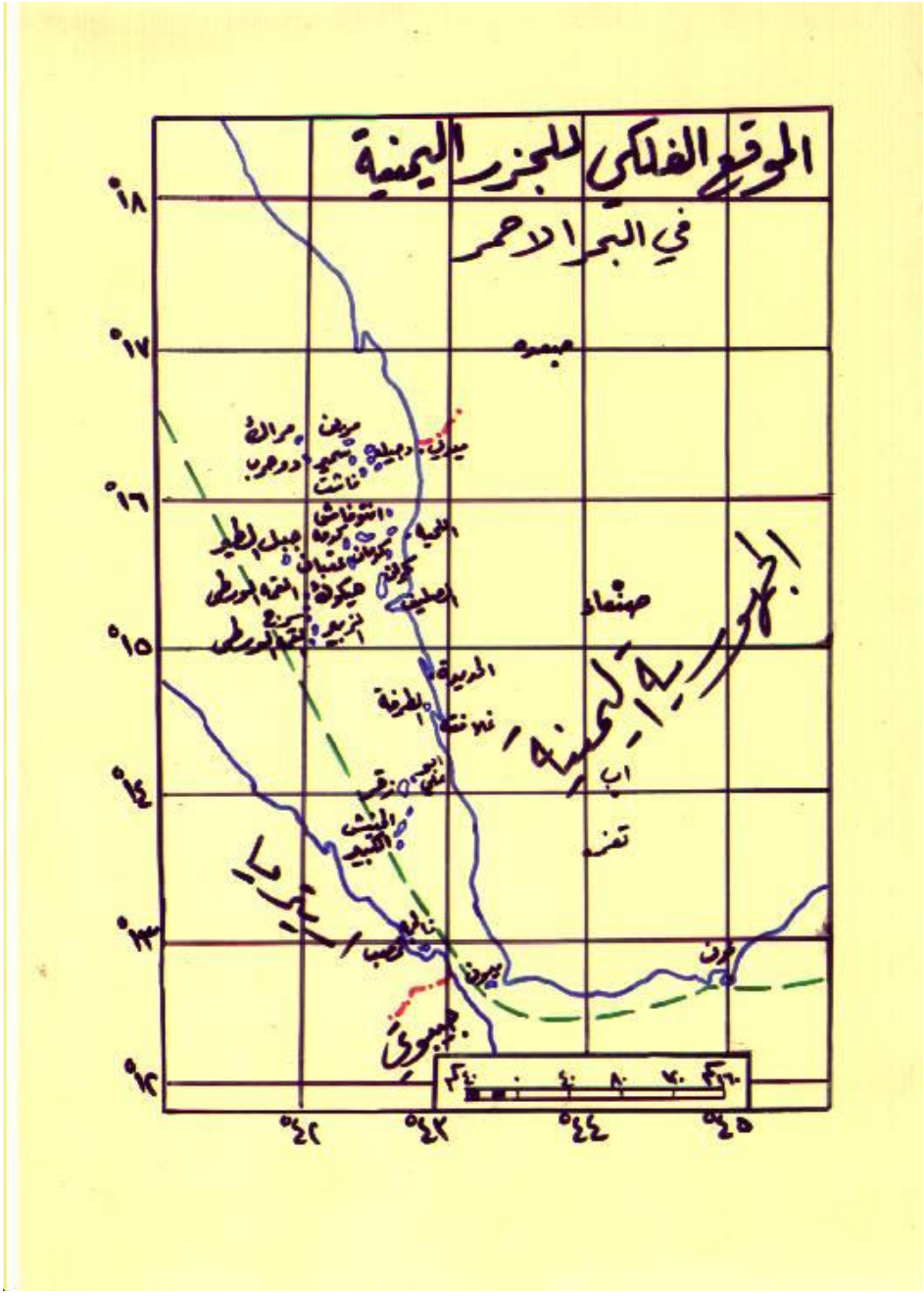
الموقع الفلكي للجزر اليمنية
في البحر الاحمر
البحر الاحمر
اليمن
عبسه
حيفان
تعز
اب
الحديدة
المخا
ذباب
المخا
باب المندب
ميون
جبوتي
١٨°
١٧°
١٦°
١٥°
١٤°
١٣°
١٢°
٤١°
٤٢°
٤٣°
٤٤°
٤٥°